الباب الأول

تخريج الأحاديث النبوية ومناقشة آراء الكاتب الدينية

الباب الأول

ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ومناقشة آراء الكاتب الدينية

الحكمة من هزيمة الفيل وأصحابه

يقول طه حسين : " لم يُهْزَم الفيل وأصحاب الفيل إكراماً لقريش ، وإنما هي آية أجراها الله لأمر يعلمه هو " [1]

والحقيقة أن الله تعالى هزم الفيل وأصحاب الفيل إكراماً لقريش زعيمة العرب وأهل بيته الحرام وسدنته وحماته وأصحاب الرفادة [2] والسقاية لحجاجه ، كما جعل النبوة فيهم ، وأول من يؤمن بخاتم أنبيائه منهم ، وعندما دخلوا في دين الله أفواجاً تبعهم العرب وآمنوا بالنبي العربي القرشي فعن أم هانئ بنت أبي طالب ، أن رسول الله ﷺ قال : " فَضَّلَ الله قُرَيْشاً بِسَبْعِ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ يُعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ ، فَضَّلَ الله قُرَيْشاً أَنِّي مِنْهُمْ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ وَأَنَّ الْحِجَابَةَ فِيهِمْ وَأَنَّ السِّقَايَةَ فِيهِمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ وَعَبَدُوا الله عَشْرَ سِنِينَ لاَيَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ وَأَنْزَلَ الله فِيهِمْ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ﴿ لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ ﴾ " [أخرجه البخاري في تاريخه ، والطبراني والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي]

يقول طه حسين : " لم ينقذ الله تعالى عبد الله من الموت ويفاده بمائة من الإبل إكراماً له أو إكراماً لأبيه ، إنما أنقذه من الموت وفاداه بالإبل لأمر يريده هو ولايعلم الناس منه شيئاً وإلا ففيم نجا هذا الفتى من الموت ليموت بعد ذلك بقليل ! " [3]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ١١٦ .

([2]) الرِّفَادَةُ : ما كانت قريْشٌ تُخرِجُه في الجاهلية من أموَالها ، تشتري به طعامًا وشرابًا لفقراء الحجاج في موسم الحج .

([3]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ١١٦ .

ذكر ابن اسحاق قصة ذبح عبد الله أبي النبي بدون سند واستهلَّها بقوله " كان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة." [1] وقول ابن إسحق " فيما يزعمون " يدل على شكِّه في الرواية فالفعل " زَعَمَ " يُسْتَعْمَلُ في الشَّكِّ والظَّنِّ وَما يُعْتَقَدُ أَنَّهُ كَذِبٌ . وهو القول بلا دليل ، وهو الخبر الذي يغلب عليه الكذب كما جاء في معجم " مصطلحات فقهية " ، أما حديث " أنا ابنُ الذَّبيحَينِ " فلا أصل له كما قال الألباني وغيره .

ولادة النبي بين الحقيقة والأساطير

يقول طه حسين عن آمنة أم النبي: " كانت ترى ، وهي يقظة غير نائمة أن نوراً ينبعث منها فيملأ الأرض من حولها ويزيل الحجب عن عينيها ، وكانت تنظر فترى قصور بُصرى في أطراف الشام ، وكانت تنظر فترى أعناق الإبل تردى (تسرع) في أقصى الصحراء . وكانت لا تتحدث إلى من حولها بما ترى مخافة أن ينكرن ما تقول، وأن يظنون بها الظنون . وكانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها إلى شيء حتى تراه نوراً كله لا ظلمة فيه ، وإنما هو مشرق مضيء ، أو هو الإشراق الخالص . وكانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر فإذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد إليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة ، وإنها لتدنو وتدنو حتى يُخيَّل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها ... وكذلك لم تدن السماء من الأرض كما دنت في هذه الليلة . وكذلك لم ير الناس من الأعاجيب كما رأى هؤلاء النسوة في هذه الليلة . ولم تكن آمنة على هذا كله تجد ألماً قليلاً أو كثيراً ، إنما كشف عنها حجاب ، ورفع عنها غشاء ، وخلي بينها وبين عالم من الجمال الذي يرى ومن الجمال الذي يسمع لا عهد للناس بمثله . ثم ترى ويرى صاحباتها كأن شهاباً انبعث منها فملأ الأرض من حولها نوراً يبهر الأبصار ، ثم ترى فإذا ابنها قد مس الأرض يتقيها بيديه رافعاً رأسه إلى

([1]) نقلاً عن سيرة ابن كثير ج ١ ص ١٧٤

السماء محدقاً ببصره إليها كأنما يلتمس عندها شيئاً . ثم تسرع صاحباتها إليه وإليها ليؤدين له ولها ما تحتاج إليه الأم حين تمنح الحياة (تلد) وما يحتاج إليه الابن حين يستقبل الحياة ، فإذا هي لا تحتاج إلى شيء ، وإذا هو لا يحتاج إلى شيء . " [1]

الصحيح فقط في كل ما ذكره طه حسين هو ما رواه العرباض بن سارية الفزاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " إنِّي عندَ اللهِ مَكتوبٌ بخاتَمِ النَّبيِّينَ وإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ في طينتِه وسأُخبِرُكم بأوَّلِ ذلك : دعوةُ أبي إبراهيمَ وبِشارةُ عيسى ورؤيا أمِّي الَّتي رأَتْ حينَ وضَعَتْني أنَّه خرَج منها نورٌ أضاءَتْ لها منه قصورُ الشَّامِ " [صححه الألباني وغيره] وما عدا ذلك لا يصح سنداً ولا عقلاً وإنما هو من مفتريات الكاتب على سيرة النبي ﷺ التي اتخذها المغرضون هدفاً للطعن في السيرة وفي صاحبها المصطفى ﷺ.

حقيقة رؤيا أم النبي حين وضعته

رؤيا أم النبي خروج نور منها حين وضعته كانت رؤيا في النوم وليست في اليقظة كما زعم الكاتب جاء في معاجم اللغة العربية " الرُّؤْيَا : ما يُرَى في النوم . والجمع : رُؤًى . "

ومعنا الرؤيا في اللغة هو نفس معناها في الدين يقول الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرؤيا التي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ . . ﴾ [الإسراء : ٦٠] كلمة ﴿ الرؤيا ﴾ مصدر للفعل رأى ، وكذلك (رؤية) مصدر للفعل رأى ، فإنْ أردتَ الرؤيا المنامية تقول : رأيتُ رُؤْيا ، وإنْ أردتَ رأى البصرية تقول : رأيتُ رؤية .

ومن ذلك قول يوسف عليه السلام في المنام الذي رآه : ﴿ وَقَالَ ياأبت هذا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف : ١٠٠]

وعلى فرض أنها رؤية في اليقظة فإنها كانت خاصة بأم الرسول دون سواها ، لأن أحداً من أهل مكة أو غيرهم لم يحدِّث بها ولو حدثت لحدُّثوا بها ، ولكن الكاتب زعم

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ١١٧ ، ١١٨ .

أن صاحبات آمنة قد رأين هذا النور بأعينهم ! ليس ذلك فحسب بل " كانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها إلى شيء حتى تراه نوراً كله لا ظلمة فيه ، وإنما هو مشرق مضيء ، أو هو الإشراق الخالص . وكانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر فإذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد إليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة ، وإنها لتدنو وتدنو حتى يخيل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها ... وكذلك لم تدن السماء من الأرض كما دنت في هذه الليلة . وكذلك لم ير الناس من الأعاجيب كما رأى هؤلاء النسوة في هذه الليلة . " وكل هذا من الأساطير التي يختلقها الكاتب ولا أصل لها ولا دليل عليها .

ثم يقول الكاتب عن حالة السيدة آمنة أثناء وضع النبي ﷺ " ولم تكن آمنة على هذا كله تجد ألماً قليلاً أو كثيراً .. ثم تسرع صاحباتها إليه وإليها ليؤدين له ولها ما تحتاج إليه .. فإذا هي لا تحتاج إلى شيء ، وإذا هو لا يحتاج إلى شيء "

لقد رُويت قصص وأخبار حول صفة حمل آمنة به ﷺ ، ولم يثبت منها شيء، منها ما رواه ابن سعد (٥٨/١) عن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمه، والبيهقي عن ابن إسحاق قال: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة كانت تقول: ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت ثِقَلَه كما تجده النساء، إلا أنني أنكرت رفع حيضتي وربما ترفعني وتعود، وأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فيقول: هل شعرت أنك حملت؟ فأقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها.. فإذا وُضع فسميه محمدًا، قالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل....." إلى آخره.. وفي إسناد هذه الرواية الواقدي، وهو متروك الحديث.

إن للوضع آلام ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ [الأحقاف : ١٤] يقول ابن كثير في تفسير الآية الكريمة أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً، من وِحَام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدته ".

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

وربما خفَّف الله تعالى حمل السيدة آمنة بالنبي ﷺ فجعله يسيراً وضعها له ﷺ كذلك ولكن أن ينفي الكاتب تعبها على الإطلاق " ولم تكن آمنة على هذا كله تجد ألماً قليلاً أو كثيراً " ليس ذلك فحسب بل إنه يزعم أن السيدة آمنة لم تحتج أية مساعدة من صاحباتها أثناء الوضع فهذا يتنافى مع الطبيعة البشرية والخليقة الإنسانية، وما قاله الكاتب عن حمل السيدة آمنة وولادتها من أساطير يجعل ولادة النبي ﷺ أشبه بأسطورة من أساطير اليونان الذين امتلكت آلهتهم " قدرات خاصة، كالمناعة من المرض والجروح والزمن" ومحمد ﷺ لم يكن أحد آلهة اليونان ولم تكن سيرته ﷺ أسطورة من الأساطير إنما كان النبي ﷺ من جنس البشر والقرآن الكريم يؤكد على بشرية رسول الله ﷺ فيقول تعالى مخاطباً العرب ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي: جنسكم ، ومن نسبكم ، فهو عربي مثلكم ، فمن الواجب عليكم أن تؤمنوا به وتطيعوه وما يميز النبي ﷺ عن غيره ليس طبيعته البشرية إنما رسالته السماوية ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف:١١٠] أي : لا أقول لكم إني إله أو مَلَك أو جنِّي ولا جنس آخر غير البشر ، بل أنا بشر مثلكم ، أي : بشر من جنس البشر ، إلا أن الله تعالى فضلني وخصني بما أوحى إلي من توحيده وشرعه ، والنبي ﷺ يقول ذلك لبيان حقيقته وليؤكد صدق الأسوة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن بشراً وطلب من الناس أن يفعلوا مثله لقالوا : لن نستطيع لأنك لست مثلنا . ويقول الله تعالى ، ولقد نهى النبي ﷺ عن الإفراط في مديحه ومجاوزة الحد فيه وخلع صفات الإلوهية عليه كما فعل النصارى مع سيدنا عيسى فقال : " لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ "

[صحيح البخاري]

من الذي سمى النبي محمداً ؟

وعن الذي سَمّى سيدنا محمد ﷺ بهذا الاسم يقول الكاتب : " ثم يرفع (عبد المطلب) الصبي ويقول : لأسمينه محمداً . قالت آمنة : لقد أتاني في النوم فأمرني

أن أسميه أحمد . قال عبد المطلب فهو محمد وهو أحمد ، وما أرى إلا أنهما بعض أسمائه " [1]

وخبر تسمية سيدنا محمد ﷺ لم يثبُت بطريق صحيح ذكر البيهقي في الدلائل بإسناد مرسل أن عبدَ المطلبِ لما ولد النبيُّ ﷺ عمل له مأدبةً ، فلما أكلوا سألوا ما سميته ؟ قال محمدًا ، قالوا فما رغبت به عن أسماءِ أهلِ بيتِه ؟ قال : أردت أن يحمدَه اللهُ في السماءِ وخلقُه في الأرضِ " [2]

وروى أبو نعيم في الدلائل : عن بريدة وابن عباس قالا : رأت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمدًا وعلقي عليه هذه. فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها :

أعيذه بالواحد *** من شر كل حاسد

وكـل خـلق زائد *** من قائم وقاصـد

عن السبيل حائد *** على الفساد جاهد

من نافث أو عاقد *** وكل خلق مارد

أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا والكنف الذي لا يرى..... الخ " [سنده واه جداً وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في مولده إن من قوله " وعلقي عليه هذه " إلى آخره أدرجه بعض القصاص]

من دلائل النبوة قبل البعثة

عن عجائب الأمور التي حدثت عند ميلاد النبي ﷺ يقول طه حسين : " أندية قريش متجمعة فيه ، تلهج كلها بحيث غريب ونبأ طريف ! أذاعه في مكة رجل من أهل الظواهر فشغل به الناس وتناقلوه ، وكان هذا الرجل طلبه أهل المسجد ينتقل

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١١٩ .

([2]) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ج ٧ ص ١٦٣ .

بحديثه من ندي إلى ندي ، فلا يكاد يتم حديثه إلى قوم حتى يدعوه إليهم قوم آخرون ليسمعوا منه ويسألوه . وكان يستجيب لمن يدعوه .. وكان هذا الرجل يقص قصصه فيقول : " لقد جنني الليل وإني لفي طريقي من الطائف إلى مكة ... وإني لأسمع قائلاً يقول : انظروا إلى السماء ، فما أرى أنها كعهدنا بها من قبل ... إنها لتدنو من الأرض حتى إن نارها لتوشك أن تحرقنا .. وغني لأسمع ما أسمع وأرى ما أرى فيبهرني ما أسمع ويسحرني ما أرى ، وأشغل به حتى عن أن أسائل نفسي أين أكون وما تكون هذه الأصوات . ولكني أحس أصواتاً أخرى كأنها تهيب بأهل تلك الأصوات التي كنت أسمعها قائلة : النجاء النجاء ! ولكن إلى أين ؟! إنكم لتفرون من مكة كأن شيئاً أزعجكم عنها وقد كنتم فيها آمنين ، وقد كنا نفر إليكم لأن شيئاً أزعجنا عن دورنا، وأخرجنا من مأمننا ، واضطرنا إلى أن نهتم في الأرض ، لا ندري ما هو ، ولا ندري من أين جاء ، إنا لنتسامع من أطراف الأرض بأن حدثاً قد حدث ، وبأن كائناً قد كان . إنا لنتسامع بأن إيوان كسرى قد اضطرب ومادت به الأرض ، فسقطت شرفاته وتهدَّم بنيانه . وإذا أصوات أخرى تصيح منتشرة في الفضاء : وإنا لنتسامع بأن نار فارس قد خبت فجأة لأول مرة منذ ألف سنة . وإذا أصوات أخرى تصيح : إنا لنتسامع بأن بحيرة ساوة قد جفَّت ، وما عهدناها إلا غزيرة جمة الماء . وإن هذه الأصوات كلها تملأ الأرض ، رقيقة خفيفة ، خائفة قلقة : النجاء ! النجاء ! إن للسماء لخبراً ، وإن الأرض لتستقبل يوماً لم تستقبله من قبل ، وإن لهذا اليوم في حياة الأرض لشاناً لا ندري أخير هو أم شر ! النجاء النجاء ! " [1]

وبعض ما ذكره الكاتب ورد في بعض كتب التاريخ والسيرة بطرق غير صحيحة .

قال ابن إسحاق: إن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدِّث أنها أتيت في منامها لما حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض قولي أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً. ورأت حين حملت

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١١٩ – ١٢١ بتصرف .

به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام. فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب: إنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه؛ فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه .

وقال عثمان بن أبي العاص: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله ﷺ فما شيء أن أنظر إليه من البيت إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي . " [1]

وروى ابن جرير في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم في دلائل النبوة عن مخزوم بن هانئ عن عن أبيه : " لمَّا كانتِ اللَّيلةُ الَّتي وُلِدَ فيها رسول اللَّه ﷺ ارتجسَ إيوانُ كسرى وسقَطت منْهُ أربعَ عشرةَ شُرفةً وغاضت بحيرةُ ساوةَ وخمَدت نارُ فارسٍ ولم تخمَد قبلَ ذلِكَ بألفِ عامٍ ورأى الموبذانُ إبِلا صعابًا تقودُ خيلا عِرابًا قد قطَعت دجلةَ وانتشرت في بلادِها ... " [2]

وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً ولم يشهد له تاريخ تلك الأمم مع قوة دواعي التسجيل .

وقد يسأل سائل ولماذا تعترض على ذكر الكاتب هذه الرويات غير الصحيحة وقد ذكرها كُتَّاب السيرة ؟

ونقول إن الدارس لكتب السيرة يجب أن يعرض أحداثها على القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وعلماء الرواية والدراية وما يتعارض مع الكتاب الكريم وصحيح السنة ، وما حكم عليه علماء الحديث بالكذب ينزهون السيرة عن ذكره ؛ وذلك لأن كتَّاب السيرة عندما دونها نحو منتصف القرن الثاني الهجري كان قد تسرَّب إليها كثير من

([1]) ابن الأثير " الكامل في التاريخ " ج ١ ص ١٥٧ .

([2]) قال الذهبي في السيرة النبوية : " هذا حديث منكر غريب" وذكر، ابن كثير وقال: " هذا الحديث لا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة، ولم أر، بإسناد أصلاً " [ابن كثير " السيرة النبوية " ج١ ص ٢٢٠] .

الروايات الضعيفة والموضوعة لذا يجب أن يحتاط من يتعامل مع كتب السيرة غير المحققة .

يقول أحمد أمين في كتاب " فجر الإسلام " عن أحاديث السيرة : " كانت هذه الأحاديث التاريخية أساساً لما ألِّف بعد ذلك من كتب السيَر والمغازي ، فقد أفردت وأُضيف إليها ما لم يُتَحرَّ فيه تحرِّي ثقات المحدثين ... ويتصل بهذا النوع ما يعرف في ذلك العهد بالقَصَص ، وقد استحدث في صدر الإسلام ... وقد نما القَصَص بسرعة لأنه يتفق وميول العامة . وأكثرَ القُصَّاص من الكَذِب حتى أن علي بن أبي طالب طردهم من المساجد واستثنى الحسن البصري لتحريه الصدق في قوله . ونرى أن هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيراً من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية ، كما كان باباً دخل منه على الحديث كذب كثير ، وأفسد التاريخ بما تسرَّب منه من حكاية وقائع مزيَّفة أتعبت الناقد وأضاعت معالم الحق "[1]

وطه حسين يعلم ذلك جيداً ، وقد اطلع على كتاب " فجر الإسلام " لأحمد أمين زميله وأقرَّ كل ما فيه قبل أن يؤلف كتاب على هامش السيرة بنحو خمس سنوات ، كما سيأتي بيانه في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

حياة النبي ﷺ عند حليمة في بادية بني سعد

وعن حياة النبي ﷺ عند حليمة السعدية في بادية بني سعد يقول طه حسين : " وينفق الصبي عند الظئر (مرضعته حليمة السعدية) ما شاء لله أن ينفق من وقت، لا يزور أمه ولا حاضنته (أم أيمن) إلا لمامًا (أحياناً ، نادراً) ... ثم يعود الصبي الناشئ من البادية إلى مكة ، فيقيم إقامةً ملؤها الرحمة والعطف " [2]

ورغم ولع الكاتب بالقصص ، وإن كانت غير صحيحة ، فإنه لم يذكر شيئاً عن حياة النبي ﷺ عند مرضعته إلا هذه الكلمات اليسيرة ، وقد أجمع رواة السيرة أن بادية

([1]) أحمد امين " فجر الإسلام " دار الكتاب العربي بيروت – لبنان الطبعة العاشرة ص ١٥٨ – ١٦٠ بتصرف .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٢٥ .

بني سعد كانت تعاني إذ ذاك سنة مجدبة جفَّ فيها الضرع ويبس الزرع ، فما هو إلا أن صار محمد ﷺ في منزل حليمة حتى عادت منازل حليمة من حول خبائها مُخْضَّرة فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعاً ممتلئة الضرع .

كما لم يذكر الكاتب شيئاً عن حادثة شق الصدر التي حدثت للنبي ﷺ في صغره وهو في بني سعد رغم صحة الحديث في ذلك فعن أنس بن مالك أنه قال : " أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتاهُ جبريلُ ﷺ وَهوَ يلعَبُ معَ الغلمانِ ، فأخذَهُ فصرعَهُ فشقَّ عن قلبِهِ ، فاستَخرجَ القلبَ ، فاستَخرجَ منهُ علَقةً ، فقالَ : هذا حظُّ الشَّيطانِ منكَ ، ثمَّ غسلَهُ في طَستٍ من ذَهَبٍ بماءِ زمزمَ ، ثمَّ لأَمَهُ ، ثمَّ أعادَهُ في مَكانِهِ ... قالَ أنسٌ : وقد كنتُ أرى أثرَ ذلِكَ المِخيَطِ في صدرِهِ " [صحيح مسلم] .

وفاء النبي لحاضنته أم أيمن

يقول الكاتب عن وفاء النبي ﷺ لحاضنته أم أيمن : " ثم يتم لله نعمته على هذا اليتيم، ويختاره لما قدر له من الكرامة واحتمال الأعباء الثقال، فلا تشغله نعمةٌ ولا محنة ولا راحةٌ ولا جهاد عن أُمِّه هذه . وانظر إليه يتحدث عنها إلى أصحابه فيقول فيقول هذه الكلمة التي ملؤها البر والحنان والوفاء " إنها بقية أهل بيتي " وانظر إليه حريصًا على أن تحيا وتنعم بالحياة، حريصًا على أن ألا يكون حظها من السعادة في هذه الدنيا أقل من حظ غيرها من الحرائر ، انظر كيف يلتمس لها الزوج فيقول لأصحابه " من سره أن يتزوج امرأةً من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن " هنالك أسرع مولاه زيد فاتخذها له زوجًا " [1]

أما عن أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ لأمِّ أيمنَ : " يا أمَّهْ ويقولُ : هذه بقيَّةُ أهلِ بيتي" فإن هذا الحديث غير صحيح وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء واهٍ مرسل ، أما حديث " أُمُّ أيْمَنَ أُمِّي بعدَ أُمِّي " فهو ضعيف .

وكذلك حديث"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُم أَيْمَنٍ" مرسل ضعيف.

أما زواج زيد بن حارثة منها فصحيح وقد أنجب منها أسامة حِبَّ رسول الله .

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٢٦ .

هجرة أم أيمن وعجيب ما جرى لها

عن هجرة أم أيمن يقول الكاتب : " إنها لتسافر صائمةً ... وإن الشمس لترسل على الأرض أشعة من اللهب، وإن الأرض لتضطرم من شدة القيظ، وإن الجو ليتوهج من اللهب الذي يضطرم فيه، وإن هذه المرأة الضعيفة لتسعى في هذه النار المحرقة ... ولكنها مع ذلك لا تيأس ولا تستسلم، ولا تفارق ما ألفت من الرضا .انظري أمامك ماذا ترين؟ إنه رشاءٌ (حبل الدَّلو) أبيض ناصع البياض ينزل إليك من السماء، وقد علقت فيه دلو قد ملئت ماءً ... وتشرب أم أيمن من هذا الماء، وتنفق أم أيمن بعد هذه الشربة أعوامًا طوالاً، فيها الشدة واللين، وفيها البؤس والنعيم، وفيها الجهد والعناء، ولكنها لا تعرف الظمأ ولا تحسه ولا تشكوه، وكيف يظمأ من شرب ماء الخلود " [1]

وما ذكره الكاتب في هجرة أم أيمن غير صحيح فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْقَاسِمِ ، قَالَ : خَرَجَتْ أُمُّ أَيْمَنَ مُهَاجِرَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ مَاشِيَةٌ ، لَيْسَ مَعَهَا زَادٌ ، وَهِيَ صَائِمَةٌ ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَأَصَابَهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ حَتَّى كَادَتْ تَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ، قَالَتْ : فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ إِذَا أَنَا بِحَفِيفِ شَيْءٍ فَوْقَ رَأْسِي ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ بِرِشَاءٍ أَبْيَضَ ، فَدَنَا مِنِّي ، حَتَّى إِذَا دَنَا حَيْثُ أَسْتَمْكِنُ ، تَنَاوَلْتُهُ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رُوِيتُ ، فَلَقَدْ كُنْتُ أَصُومُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ ، ثُمَّ أَطُوفُ فِي الشَّمْسِ كَيْ أَعْطَشَ ، فَمَا عَطِشْتُ بَعْدَهَا " [سند هذا الحديث ضعيف]

مزاح النبي ﷺ مع أم أيمن

ذكر الكاتب بعض مزاح النبي مع أم أيمن فقال : " فيلقاها مبتسمًا دائمًا، مبتهجًا دائمًا، مداعبًا : لها من حين إلى حين . تسأله مرة أن يحملها، فيقول لها " أحملك على ولد الناقة " فلا تفهم منه، فتقول : يا رسول لله، إنه لا يطيقني ولا أريده .فيقول متضاحكًا " لا أحملك إلا على ولد الناقة ! " وكان ابنها يمزح ولكنه لم يكن يقول إلا حقاً . وكان يحب أن يداعبها ويعبث بها في رفق فهو يقول ذات يوم " غطي قناعك يا

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٢٧ .

أم أيمن " وتلقاه يوم حنين قبل الموقعة فتريد أن تدعو للمسلمين بخير فتقول " ثبت الله أقدامكم " فيقول ابنها : " اسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان " .

كل ما ذكره الكاتب عن أم أيمن لا تصح نسبته للنبي ﷺ فقد نسب الكاتب مزاح النبي لرجل استحمله فقال له : " إِنِّى حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ " لأم يمن وهذا غير صحيح فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ " إِنِّى حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ ". فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ " [حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي]

وحديث " غَطِّي عَنَّا قِنَاعَكِ يَا أُمَّ أَيْمَن " [مرسل ضعيف]

وكذلك حديت " اسْكُتِي يَا أُمَّ أَيْمَن " فعَنْ أَبِي الْحُوَيْرِثِ ، أَنَّ أُمَّ أَيْمَنَ ، قَالَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ : سَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَكُمْ ، فَقَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اسْكُتِي يَا أُمَّ أَيْمَنَ فَإِنَّكِ عَسْرَاءُ اللِّسَانِ. " .

حديث النبي الشامل لأخي بني عامر

قال الكاتب " قال مَكْحُولٍ : حدثني شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، وَهُوَ سَيِّدُ قَومِهِ وَكَبِيرُهُمْ مدرهم يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا ، فَقَامَ بَينَ يَدَيِ النَّبِي ﷺ، قَالَ : وَنَسَبَ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى جَدِّهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ ، أَرْسَلَكَ بِمَا أَرْسَلَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيرَهُمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، أَلاَ وَإِنَّكَ نبوت (تحدثت) بِعَظِيمٍ ، إِنَّمَا كَانَ الأَنبِيَاءُ وَالْمُلُوكُ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : بَيْتِ نُبُوَّةٍ ، وَبَيْتِ مُلْكٍ ، وَلاَ أَنْتَ مِنْ هَؤُلاَءِ ، وَلاَ مِنْ هَؤُلاَءِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْعَرَبِ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْحِجَارَةَ وَالأَوثَانَ ، فَمَا لَكَ وَالنُّبُوَّةُ ؟ وَلَكِنْ لِكُلِّ أَمْرٍ حَقِيقَةٌ فَأْتِنِي بِحَقِيقَةِ قَولِكَ وَبَدَءِ شَأْنِكَ ، قَالَ : فَأَعْجَبَ النَّبِيَّ ﷺ مَسْأَلَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ ، إِنَّ لِلْحَدِيثِ الَّذِي تَسْأَلُ عَنْهُ نَبَأً وَمَجْلِسًا ، فَاجْلِسْ ، فَثَنَى رِجْلَهُ وَبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ ،

إِنَّ حَقِيقَةَ قَولِي وَبَدْوَ شَأْنِي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَإِنِّي كُنْتُ بِكرًا لأُمِّي ، وَإِنَّهَا حَمَلَتْنِي كَأَثْقَلِ مَا تَحْمِلُ النِّسَاءُ حَتَّى جَعَلَتْ تَشْتَكِي إِلَى صَوَاحِبِهَا ثِقَلَ مَا تَجِدُ ، وَإِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ ، قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أُتْبِعُ بَصَرِيَّ النُّورَ . فَجَعَلَ النُّورُ يَسْبِقُ بَصَرِي حَتَّى أَضَاءَ لِي مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا وَلَدَتْنِي ، فَلَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ الأَوْثَانُ ، وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ ، وَاسْتُرْضِعَ لِي فِي بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكرٍ ، فَبَينَمَا أَنَا ذَاتَ يَومٍ فِي بَطْنِ وَادٍ مَعَ أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ ، إِذَا أَنَا بِرَهْطٍ ثَلاَثٍ مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَلآنٌ نُورًا وَثَلْجًا ، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي ، وَانْطَلَقَ أَصْحَابِي هَرَبًا حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ ، فَقَالُوا : مَا لَكُمْ وَلِهَذَا الْغَلاَمِ ؟ إِنَّهُ غُلاَمٌ لَيسَ مِنَّا ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَيِّدِ قُرَيشٍ ، وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِينَا ، غُلاَمٌ يَتِيمٌ لَيسَ لَهُ أَبٌ ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيكُمْ قَتْلُهُ ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لاَبُدَّ فَاعِلِينَ ، فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ ، فَلَنَأْتِكُمْ ، فَاقْتُلُونَا مَكَانَهُ ، وَدَعُوا هَذَا الْغُلاَمَ فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى الصِّبْيَانُ أَنَّ الْقَومَ لاَ يُجِيبُونَهُمْ ، انْطَلَقُوا هَرَبًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤْذِنُوهُمْ لهم ويستصرخهم عَلَى الْقَومِ ، فَعَمِدَ إِلَيَّ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي إِلَى الأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًا ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي فَغَسَلَهُ بِذَلِكَ الثَّلْجِ فَأَنْهَى غَسلَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا فِي مَكَانِهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي ، وَأَنَا أَنظُرُ فَصَدَعَهُ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ رَمَى بِهَا ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ : يَمِنَةُ مِنْهُ ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، ثُمَّ إِذَا بِالْخَاتَمِ فِي يَدِهِ مِنْ نُورِ نُورِ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ تُخْطَفُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُوْنَهُ ، فَخَتَمَ قَلبِي فَامْتَلأَ نُورًا وَحِكْمَةً ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا ، ثُمَّ قَامَ الثَّالِثُ فَتَنَحَّى صَاحِبه ، فَأَمَرَّ يَدَهُ بَينَ ثَدْيَيَّ وَمُنْتَهَى عَانَتِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا ، ثُمَّ قَالَ الأَوَّلُ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي : زِنُوهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنُونِي فرجحتهم ، ثمّ قَالَ : زنوه بمائة من أمته ، فوزنوني فرجحتهم ، ثمّ قال : زنوه بألف من أمته فوزنوني فرجحتهم ، قال : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ جَمِيعًا لَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ قَامُوا إِلَيَّ فَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ ،

وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا حَبِيبُ ، لَمْ تُرَعْ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنُكَ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ الْحَيُّ بِحَذَافِيرِهِمْ ، وَإِذَا ظِئْرِي أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى صَوتِهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ ، قَالَ : فَأَكَبُّوا عَلَيَّ يُقَبِّلُونِي، وَيَقُولُونَ : يَا حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا وَحِيدَاهُ ، قَالَ : فَأَكَبُّوا عَلَيَّ ، وَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَقَالُوا : يَا حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ ، مَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهلِ الأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا يَتِيمَاهُ ، اسْتُضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقُتِلْتَ لِضَعْفِكَ ، فَأَكَبُّوا عَلَيَّ وَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ ، وقَبَّلُوا ، وَأُمِّي وَقَالُوا : يَا حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللهِ ، لَوْ تَعْلَمُ مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ، قَالَ : فَوَصَلُوا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي فَلَمَّا بَصُرَتْ بِي ظِئْرِي ، قَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، أَلاَ أَرَاكَ حَيًّا بَعْدُ ، فَجَاءَتْ حَتَّى أَكَبَّتْ عَلَيَّ فَضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَفِي حِجْرِهَا قَدْ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا ، وَإِنَّ يَدِي لَفِي يَدِ بَعْضِهِمْ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يُبْصِرُونَهُمْ ، فَإِذَا هُمْ لاَ يُبْصِرُونَهُمْ ، فَجَاءَ بَعْضُ الْحَيِّ ، فَقَالَ : هَذَا الْغُلاَمُ أَصَابَهُ لَمَمٌ ، أَوْ طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ يَنْظُرُ إِلَيهِ وَيُدَاوِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ لَيْسَ بِي شَيْءٌ مِمَّا تَذْكُرُونَ ، أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً وَفُؤَادي صَحِيحًا ، وَلَيسَ بِي قُلْبَةٌ ، فَقَالَ أَبِي وَهُوَ زَوْجُ ظِئْرِي : أَلاَ تَرَوْنَ ابْنِي كَلاَمَهُ كَلاَمَ صَحِيحٍ ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ يَكُونَ بِابْنِي بَأْسٌ ، فَاتَّفَقَ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا بِي إِلَى الْكَاهِنِ ، فَاحْتَمَلُونِي حَتَّى ذَهَبُوا بِي إِلَيْهِ فَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتِي ، فَقَالَ : اسْكُتُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغُلاَمِ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ أَمْرِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتِي ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوتِهِ : يَا لَلْعَرَبَ ، اقْتُلُوا هَذَا الْغُلاَمَ وَاقْتُلُونِي مَعَهُ ، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، لَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ لَيُبَدِّلَنَّ دِينَكُمْ ، وَلَيُسَفِّهَنَّ أَحْلاَمَكُمْ وَأَحْلاَمَ آبَائِكُمْ ، وَلَيُخَالِفَنَّ أَمْرَكُمْ ، وَلَيَأْتِيَنَّ بِدِينٍ لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ ، قال : فَانْتَزَعَنِي ظِئْرِي مِنْ يَدِهِ ، قَالَ : لأَنْتَ أَعْتَهُ مِنْهُ وَأَجَنُّ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ قَولِكَ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ ، ثُمَّ احْتَمَلُونِي وَرَدُّونِي إِلَى أَهْلِي ، فَأَصْبَحْتُ مَغْمُومًا مِمَّا فُعِلَ بِي ، وَأَصْبَحَ أَثَرُ الشَّقِّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي ، كَأَنَّهُ شِرَاكٌ ، فَذَلِكَ حَقِيقَةُ قَوْلِي وَبَدْوُ شَأْنِي فَقَالَ الْعَامِرِيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ

إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ أَمْرُكَ حَقٌّ ، فَأَنْبِئْنِي بِأَشْيَاءَ أَسْأَلُكَ عَنْهَا ، قَالَ : سَلْ عَنْكَ ، وَكَانَ يَقُولُ لِلْسَائِلِينَ قَبْلَ ذَلِكَ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، فَقَالَ يَوْمَئِذٍ لِلْعَامِرِيِّ : سَلْ عَنْكَ فَإِنَّهَا لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ ، فَكَلَّمَهُ مِمَّا يَعْرِفُ ، فَقَالَ العَامِرِيُّ : أَخْبِرْنِي يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَاذَا يَزِيدُ فِي الشَّرِ ؟ قَالَ : التَّمَادِي قَالَ : فَهَلْ يَنْفَعُ الْبِرُّ بَعْدَ الْفُجُورِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَعَمْ ، التَّوبَةُ تَغْسِلُ الْحَوْبَةَ ، وَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي الرَّخَاءِ أَعَانَهُ عِنْدَ الْبَلاَءِ قَالَ الْعَامِرِيُّ : كَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ذَلِكَ بِأَنَ اللَّهَ يَقُولُ : لاَ أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ ، وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ خَوْفَيْنِ ، إِنْ هُوَ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَومَ أَجْمَعُ عِبَادِي فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ فَيَدُومُ لَهُ أَمْنُهُ ، وَلاَ أَمْحَقُهُ فِيمَنَ أَمْحَقُ فَقَالَ الْعَامِرِيُّ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِلَى مَا تَدْعُو ؟ قَالَ : إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ تَخْلَعَ الأَنْدَادَ ، وَتَكْفُرَ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى ، وَتُقِرَّ بِمَا جَاءَ مِنَ اللهِ مِنْ كِتَابٍ وَرَسُولٍ وَتُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقَائِقِهِنَّ ، وَتَصُومَ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ ، وَتُؤَدِّيَ زَكَاةَ مَالِكَ ، فَيُطَهِّرَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَيَطِيبَ لَكَ مَالُكَ ، وَتُقَرَّ بِالْبَعْثِ بَعْدَ المَوتِ ، وَبِالجَنَّةَ وَالنَّارِ قَالَ : يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنْ أَنَا فَعَلْتُ هَذَا فَمَا لِي ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى قَالَ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، هَلْ مَعَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ ؟ فَإِنَّهُ يُعْجِبُنَا الْوَطْأَةُ فِي الْعَيْشِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَعَمْ ، النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ فِي الْبِلاَدِ قَالَ : فَأَجَابَ الْعَامِرِيُّ وَأَنَابَ." [1]

ذكر الكاتب هذا الحديث بطوله بتصرف في بعض ألفاظه ، وإسْنَاد هذا الحديث ضَعِيفٌ لِضَعْفِ عُمَرَ بْنِ صُبْحٍ ، وَالرَّاوِي عَنْه مُحَمَّدِ بْنِ يَعْلَى الْكُوفِيِّ.

كيف صاغ الكاتب قصة فداء عبد الله أبي النبي ؟

يقول الكاتب عن فداء عبد المطلب ابنه عبد الله " وكيف فادى ابنه فغالى في الفداء ، وكيف اغتبط وابتهج حين قبل الآلهة فداءه وتركوا له ابنه " (٢) لقد صاغ

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٣٥- ١٣٩ .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٤٢ .

الكاتب قصة الفداء بأسلوب يوحي بصحتها وأن الآلهة التي كان يعبدها أهل مكة قد قبلت بالفعل الفداء وتركت للعبد المطلب ابنه عبد الله كأنه يتكلم عن أساطير اليونان لا يتكلم عن سيرة رسول كريم بل خاتم الأنبياء وأكرمهم .

وفقد كان عليه أن يقول : وابتهج حين قبلت آلهته – بزعمه – فداءه وتركوا له ابنه حسب اعتقاده " لا أن يقول " الآلهة " هكذا معرفة بأداة التعريف " أل " كأنها حقيقة مُسلَّم بها .

هل دفنت أم النبي ﷺ بجوار أبيه ؟

يقول الكاتب عن السيدة آمنة أم النبي" ﷺ لم تكد الأم تنعم بابنها حتى أقبل الموت فقطع ما بينهما من سبب ، وأبى إلا أن ينقلها إلى جوار زوجها الذي طالما كانت تذكره وتفكر فيه " (١) ومعروف أن السيدة آمنة لم تدفن بجوار زوجها عبد الله فقد دفن عبد الله عند أخواله بني النجار ، ودفنت أمه في مكة " وَمَاتَ أَبُوهُ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجّارِ في أما هي فدفنت في مكة قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ : أَنّ أُمّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ آمِنَةَ تُوُفّيَتْ وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ ابْنُ سِتّ سِنِينَ بِالأَبْوَاءِ ، بَيْنَ مَكّةَ وَالْمَدِينَةِ .

وعندما مرَّ رسول الله ﷺ بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة عام الفتح استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن له ، فبكى وأبكى من حوله فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : " زَارَ النَّبِىُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِى وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِى أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِى فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " [صحيح مسلم] ولو كان أبواه قد دفنا معاً لبكاهما جميعاً ولم يؤثر أمه بالبكاء دون أبيه .

إكرام النبي لمرضعته حليمة

يقول الكاتب عن إكرام الرسول لمرضعته حليمة " فانظر إلى حليمة تهبط مكة تستعين بابنها على أثقال الحياة فيكلم لها خديجة فتمنحها بعيراً وأربعين شاة ، وانظر

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٤٢ .

إليها تستأذن عليه مرة أخرى ، فإذا أدخلت عليه رآها قال : أمي ! أمي ! ثم بسط رداءه فأجلسها عليه ! ثم أدخل يده من دون ثيابها فمس صدرها مساً ، ثم قضى حاجتها . [1]

لم أقف على هذا الكلام في أثر صحيح من كتب الحديث أو السيرة إلا في مسند البزار عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ لَحْمًا بِالْجِعْرَانَةِ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بَدْوِيَّةٌ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : هَذِهِ أُمُّهُ الَّتِي كَانَتْ تُرْضِعُهُ."

[مسند البزار]

أما كلام طه حسين عن أن النبي ﷺ كان يمس ثدي السيدة حليمة فهذا باطل لا أصل له ، أما ادعاء الكتاب أن النبي ﷺ قال لحليمة : أمي ! أمي ! فهذا لا يصح إنما ورد قوله " أم أيمن أمي بعد أمي " (حديث ضعيف رواه ابن عساكر)

قبر من الذي زاره النبي عند فتح مكة ؟

يقول الكاتب " ودخل مكة عام الفتح ظافراً منتصراً وبينما هو في بعض مواضعها رأى أصل قبر فعطف عليه وأقام عنده ، واستأذن في الاستغفار لصاحب القبر فلم يؤذن له ، فانصرف محزوناً كئيباً وبكى فبكى الناس ، وما رأى الناس يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم . واختلط أمر هذا القبر على الرواة فظنوه قبر أمه ، وقبر أمه في الأبواء ، ومن يدري لعله قبر جده الشيخ ، وعرض الإسلام على عمه وألح عليه ، وكاد الرجل أن يقبل لولا حمية الجاهلية ، فلما مات قال ابنه أخيه (يعني النبي ﷺ) لأستغفر لك ، فلامه القرآن في ذلك لوماً عنيفاً " (٢)

ولم أقف على خبر بكاء واستغفار النبي ﷺ لصاحب قبر عند الفتح فيما صحَّ عن النبي ﷺ أما استغفار النبي لعمه أبي طالب وزعم الكاتب أن القرآن لام عليه لوماً

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٤٤ .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٤٦ .

عنيفا فأصل القصة كما رواها البخاري عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ أَيْ عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ فَنَزَلَتْ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ وَنَزَلَتْ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ " [صحيح البخاري]

وليس في الرواية لوم عنيف من الله تعالى لنبيه ﷺ كما زعم طه حسين إنما توجيه لطيف من الله تعالى لرسوله .

هل كان أهل الكتاب يعرفون تفاصيل حياة النبي قبل البعثة ؟

يقول الكاتب عن معرفة آهل الكتاب بصفات نبي آخر الزمان " قال بحيرى : أنشدك الله، ألسنا نعلم أنه سيولد في تلك الأرض التي كان فيها ما حدثتنا به من أمر الفيل ؟!

قال الراهب الشيخ : بلى !

قال بحيرى : " أنشدك لله، ألسنا نعلم أنه سيولد يتيمًا يموت عنه أبوه وهو جنين؟

قال الراهب الشيخ : بلى !

قال بحيرى : " أنشدك الله، ألسنا نعلم أن أحداثًا عظامًا ستحدث يوم مولده يُحسها الناس ولا يتبينونها ؟!

قال الراهب الشيخ : بلى!

قال بحيرى : " ألسنا نعلم أنه سيفقد أمه ولمَّا يتجاوز السادسة من عمره؟

قال الراهب الشيخ :بلى!

قال بحيرى : " ألسنا نعلم أنه سيفقد جده ولمَّا يتجاوز السابعة من عمره؟

قال الراهب الشيخ : بلى!

قال بحيرى : " ثم ألسنا نعلم أنه سيظل في كفالة عم له يحميه ويرعاه حتى يبلغ أشده، ثم يقوم دونه حين يجد الجد ويتألب عليه عدوه من المشركين؟!

قال الراهب الشيخ : بلى ! كل هذا نقرؤه فيما نقرأ من كتبنا، أو نتوارثه فيما نتوارث عن أحبارنا ورهباننا.

قال بحيرى : " ثم ألسنا نعلم آخر الأمر أن الله قد ميزه من غيره من الناس بعلامة مادية تُرى وتُحس ويعرفها الراسخون في العلم ولا يرتاب فيها إلا المبطلون أو الجاهلون؟!

قال الراهب الشيخ : بلى !هي هذا الخاتم بين كفيه.

قال بحيرى : " فإذا حدثتك بأني قد رأيت هذا الصبي، ورأيته مع عمه هذا الذي يكفله، وعرفت أن اسم هذا الصبي محمد، وأن اسم أبيه عبد الله ، وأن اسم جده عبد المطلب، هذا الذي رأيته أنت عند أبرهة وحدثتنا من أنبائه بما تعلم.

قال الراهب الشيخ وقد اضطرب لهذا الحديث أشد الاضطراب وإنك لتزعم أنك قد رأيته؟!

قال بحيرى : " اللهم أشهد أني رأيته، ورأيته مع عمه أبي طالب، وعلمت ما حدثتك به من أنَّ أباه قد مات عنه جنينًا، وعلمت ما أشرت إليه من أنَّ أمه قد ماتت عنه في بعض الطريق ولمَّا يتجاوز السادسة من عمره، وعلمت أنه عاد إلى وطنه تكفله أَمَةٌ ورثها عن أبيه فبلغته مأمَنَهُ وردته إلى جده الذي كفله وحماه .

ثم علمت أن جدَّه هذا قد مات عنه وأوصى به إلى عمه ، وأن عمه قد قام دونه يكلؤه ويرعاه ويؤثره على ولده ... " [1]

ذكر الكاتب على لسان بحيرى ، ممثلاً لأهل الكتاب ، تفصيلاً لحياة النبي ﷺ منذ ميلاده حتى بعثته زاعماً أن هذه الأخبار مكتوبة عند أهل الكتاب في كتبهم المقدسة وأخبرهم بها أحبارهم ورهبانهم !! ومعظم ما ذكره الكاتب لم يصح وقوعه كما بينا ،

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

عند حديثنا عن دلائل النبوة قبل البعثة ، وما صحَّ وقوعه لم يصح معرفة أهل الكتاب به قبل حدوثه وإليك ما كان معلوماً من أمر النبي ﷺ عند أهل الكتاب قبل بعثته .

صفات النبي عند أهل الكتاب

نعم أهل الكتاب كانوا يعرفون رسول الله ﷺ كمعرفتهم أبنائهم .

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦]

وذكر بعض المفسرين دون إسناد قول عَبْد الله بن سلام : لأنا كُنْتُ أشد معرفةً برَسُول الله ﷺ مني بابني . فَقَالَ لَهُ عُمَر بن الخطاب : وكيف ذاك يا ابن سلام ؟ قَالَ : لأني أشهد أن مُحَمَّداً رَسُول الله ﷺ حقاً يقيناً ، وأنا لا أشهد بذلك عَلَى ابني ؛ لأني لا أدري ما أَحْدَثَ النساءُ . فقال عمر : وفقك الله يا ابن سلام " .

ولكن معرفة أهل الكتاب لبعض دلائل نبوة النبي لا تعني معرفة تفاصيل حياته كما زعم طه حسين إنما تلك المعرفة كانت قاصرة على خروج النبي ﷺ من العرب ، وأن بين كتفيه خاتم النبوة بالإضافة إلى الصفات العامة التي يشترك فيها كل الأنبياء وهي : الصدق ، والأمانة ، والفطانة ، والتبليغ .

فعن سلمان الفارسي قال : " خرجْتُ أبْتَغِي الدِّينَ فوقَعْتُ في الرهبانِ بقايا أهلِ الكتابِ قال اللهُ عزَّ وجلَّ يَعرفونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ فكانوا يقولونَ هذا زمانُ نبيٍّ قدْ أطَلَّ يخرجُ من أرضِ العربِ لَهُ علاماتٌ من ذلِكَ شامَةٌ مُدَوَّرَةٌ بينَ كَتِفَيْهِ خاتَمُ النبوةِ فلحِقْتُ بأرضِ العربِ وخرجَ النبيُّ ﷺ فرأَيْتُ ما قالوا كُلَّهُ ورأيتُ الخاتَمَ فشهِدتُّ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ." [صحيح الطبراني]

ويقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء الذين بشَّروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم فعن أبي صخر العقيلي،

قال حدثني رجل من الأعراب، قال: " حدثني رجلٌ من الأعرابِ قال جُلِبتُ جلوبةً إلى المدينةِ في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ فلما فرغْت من بيعتي قلتُ لأُلقين هذا الرجلَ ولأسمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكرٍ وعمرَ يمشون فتبعتهم في أقفائِهم حتى أتوا على رجلٍ من اليهودِ ناشرًا التوراةَ يقرؤُها يعزي بها نفسَه على ابنٍ له في الموتِ كأحسنِ الفتيانِ وأجملِه فقال رسولُ اللهِ ﷺ أنشدُك بالذي أنزل التوراةَ هل تجدُ في كتابِك هذا صفتي ومخرجي فقال برأسِه هكذا أي لا فقال ابنُه أي واللهِ الذي أنزل التوراةَ إنا لنجدُ في كتابِنا صفتَك ومخرجَك أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنك رسولُ اللهِ فقال أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم ثم ولي دفنَه وجنَنَه والصلاةَ عليه " [قال ابن كثير هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح، عن أنس]

كما جاء ذكر بعض الصفات الأخرى التي ذكرها عبد الله بن عمرو العاص فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا " [صحيح البخاري]

وكل هذه الصفات ليس فيها شيئاً مما ذكره طه حسين من معرفة أهل الكتاب أنه سيولد في عام الفيل وأن أباه سيموت وهو جنين ، وأنه سيفقد أمه ولما يتجاوز السادسة من عمره ، وأنه سيفقد جده ولما يتجاوز السابعة ، وأنه سيظل في كفالة عم له يحميه ويرعاه حتى يبلغ أشده ...

حتى ما جاء في نص التوراة مما فهم بعض الدارسين على أنه من صفات النبي ﷺ المذكورة في التوراة التي بين يدي اليهود الآن ليس فيه ذكر لما قاله طه حسين فقد جاء في سفر أشعياء : " ١٠لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَكَبَ عَلَيْكُمْ رُوحَ سُبَاتٍ وَأَغْمَضَ عُيُونَكُمُ.

الأَنْبِيَاءُ وَرُؤَسَاؤُكُمُ النَّاظِرُونَ غَطَّاهُمْ. ١١وَصَارَتْ لَكُمْ رُؤْيَا الْكُلِّ مِثْلَ كَلاَمِ السِّفْرِ الْمَخْتُومِ الَّذِي يَدْفَعُونَهُ لِعَارِفِ الْكِتَابَةِ قَائِلِينَ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: «لاَ أَسْتَطِيعُ لأَنَّهُ مَخْتُومٌ». ١٢أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ»." [أشعياء : ٢٩]

فرسولنا ﷺ هو النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة، والذي دفع إليه سيدنا جبريل السفر المختوم، وقال له : اقرأ فقال: ما أنا بقارئ ، فجعل الله سِفره وحياً ينطقه بشفتيه، ويتلوه من بعده المؤمنون إلى قيام الساعة .

ونزل النبي ﷺ من على غار حراء خائفاً فزعاً، وأخذته السيدة خديجة إلى ورقة بن نوفل – وكان من علماء أهل الكتاب – فقص عليه الخبر، فعرف ورقة نبوة النبي بما قرأ في سِفر النبي إشعيا .

وإليك ما جاء في صحيح البخاري في هذا الشأن : " فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ قَالَ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ذَكَرَ حَرْفًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلا أُوذِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " .

وأما معرفة ورقة بإخراج قريش للنبي ﷺ ومعاداته، فقد عرفه من سفر إشعيا أيضاً حيث جاءتْ فيه البشارة بالنبي الذي يبعث في بلاد وعرة من أرض العرب " ١٣وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. ١٤هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ." [أشيعاء : ٢١]

فالنص التوراتي يتحدث إلى قبائل الدداني‌ين في أرض تيماء ، لينجدوا النبي ﷺ الذي خرج مع أصحابه هرباً من وجه السيوف، ويشير إلى مكان بعثته الوعر من بلاد العرب، وهي صفة مكة المكرمة، مكان مولِده وبعثته ﷺ .

وممن شهد لنبينا بالرسالة من أهل الكتاب النجاشي ملك الحبشة فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ لا نُؤْذَى وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ قَالَتْ فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا نَعَمْ ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالا لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ قَالَتْ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ قَالَ

فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ لا هَا اللَّهِ ايْمُ اللَّهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي قَالَتْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قَالَ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَالَتْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص قَالَتْ فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا .. " [حديث صحيح رواه أحمد]

قصة بحيرى الراهب مع النبي

أما عن كلام الكاتب على لسان بحيرى الراهب : " ما هي إلا أن يرتفع الضحى وإذا أنا أطلع من أعلى الصومعة فأرى ما يملؤني روعة وروعًا : أرى هذا الصبي ينفرد بهذا الظل دون أن يشعر بذلك أحد، ودون أن يلتفت هو نفسه إليه أو يشعر به، حتى إذا دنت القافلة وحطت رحالها، جعل الصبي كلما انتقل انتقلت معه سحابته تلك، تُظله وتقيه حر الشمس، ولا يشعر بذلك أحد، ولا يفطن لذلك إنسان .وأسأل من حولي: أيرون ما أرى؟ فإذا هم كغيرهم من الناس لا يرون .وأدعو القوم إلى طعام قد أعددته لهم لما رأيت ولما كان قد ألقي في روعي ! فكلهم يستجيب لدعوتي إلا هذا الصبي، فإنهم يخلفونه في رحالهم . فأسأل وألح في السؤال، حتى أعلم أنهم قد حضروا جميعًا طعامي إلا هذا الغلام، فألح في حضوره فيحضره القوم، وإنهم ليتلاومون على أن خلفوه ! حتى إذا رفع القوم أيديهم عن الطعام، أخذت أحتال حتى أخلو إلى الشيخ الذي يصحب هذا الصبي . فما أزال أسأله وأستقصي أمره، حتى أعرف من حال الصبي ما حدثتك به . ثم أتحدث إلى الصبي نفسه، يا للوجه المشرق المطمئن يُنبئ عن نفس مشرقة مطمئنة!

ويا للصوت العذب ينبئ عن خلق عذب ! ويا للحديث الكريم يُنبئ عن قلب كريم ! وإني لأسأل الصبي وأستحلفه بأوثان قومه ، فلا أرى منه إلا نفورًا وازورارًا، وإذا هو يُنبئني بأنه لم يبغض شيئًا قط كما يبغض هذه الأوثان .فأستحلفه بالله ليصْدُقني الحديث فيما أسأل عنه، فيجيبني إلى ما أردت . وأنا أسأله عن أمره ، جليِّه وغامضه ، وعما ينبغي أن يحدث له يقظان، وعما ينبغي أن يحدث له نائمًا، وعما ينبغي أن يحدث له مجتمعًا إلى الناس، وعما ينبغي أن يحدث له خاليًا إلى نفسه، فلا يجيبني إلا بما كنت أنتظر أن يجيبني به .

هنالك لم يبق في نفسي إلا أن أرى هذه الآية المادية بين كتفيه، فأنظر فأرى، فأقبل هذا الخاتم الكريم .وقد امتلأ قلبي حبًّا للصبي، وبرًّا به، وإشفاقًا عليه من يهود؛ فإنهم يعرفون من أنبائه مثل ما نعرف، وينتظرون من أمره مثل ما ننتظر، ولكنهم يشفقون منه ويريدون به السوء .

وإذا أنا أتقدم إلى عمه الشيخ أن يعود به أدراجه، وأن يبالغ في حمايته وحياطته وصيانته من كيد يهود . " [1]

وأصح ما ذكر في خبر الراهب بحيرة أن النبي عندما بلغ اثنتي عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتى وصل إلى بُصْرَى، وكان في هذا البلد راهب عرف ببحِيرَى ، وعن هذا اللقاء يقول أبو موسى الأشعري : " الْتِقَاؤُهُ بالرَّاهِبِ ، بَحِيرَى الذي تَفَرَّسَ فيه ورأى مَعَالِمَ النُّبُوَّةِ في وجهِه وبينَ كَتِفَيْهِ ، فلما سأل أبا طالبٍ : ما هذا الغلامُ منكَ ؟ قال : ابْنِي ، قال : ما يَنْبَغِي أن يكونَ أَبُوهُ حَيًّا ! قال : فإنه ابنُ أَخِي مات أَبُوهُ وأُمُّهُ حُبْلَى به . قال صَدَقْتَ ، ارْجِعْ به إلى بَلَدِكَ واحْذَرْ عليه يَهُودَ. " [صححه الألباني] أما الإمام الذهبي فقد قال عن هذا الحديث : " هو حديث منكر جدّاً .. فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة ؟ لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها ولم نر النبي ﷺ ذكَّر أبا طالب قط بقول الراهب ولا تذاكرته قريش ولا حكته أولئك الأشياخ مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار ولبقي عنده ﷺ حس من النبوة ؛ ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولا بغار حراء وأتى خديجة خائفا على عقله " [2]

وأرى أن تَعَرُّف بحيرى على بعض معالم نبوة رسول الله في وجهِه وبينَ كَتِفَيْهِ صحيح كما قال الألباني ، أما ما جاء في بعض الروايات من سجود الحجر والشجر للنبي ﷺ وميل فيء الشجرة عليه وتظليل الغمام له وحده ، وقول النبي ﷺ لبحيرى عندما استحلفه باللات والعُزّى " لا تسألني باللات والعزّى، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قطّ ." كل هذا فيه نظر كما لاحظ ذلك الذهبي .

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ١٩١ ، ١٩٢ .

([2]) الذهبي " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " دار الكتاب العربي ج ١ص ٥٧ .

قصة زيدِ بنِ عمرٍو الذي يأتي يومَ القيامةِ أمَّةً وحدَه

ذكر الكاتب خبر زيد بن عمرو بأسلوبه الأدبي الخيالي وختمها بقوله : " قال ابن إسحاق : وحدثت أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب – وهو ابن عمه – قالا لرسول الله ﷺ استغفر لزيد بن عمرو .قال " نعم فإنه يبعث أمة وحده " .

وقصة عمرو زيد كما جاءت في الحديث الصحيح عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قال : قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يومًا حارًّا مِنْ أَيَّامِ مَكَّةَ وَهُوَ مُرْدِفِي (أجلس خلفه) إِلَى نُصُبٍ مِنَ الأَنْصَابِ ، وَقَدْ ذَبَحْنَا لَهُ شَاةً فَأَنْضَجْنَاهَا ، قَالَ : فَلَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، فَحَيَّا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَاحِبَهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا زَيْدُ ، مَالِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنِفُوا لَكَ ! (أبغضوك) قَالَ : وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ ذَلِكَ لِغَيْرِ نَائِلَةٍ لِي مِنْهُمُ ، وَلَكِن خَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ فَخَرَجْت حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى أَحْبَارِ فَدَكَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي ، فَخَرَجْتُ أَقْدَمَ عَلَى أَحْبَارِ الشَّامِ ، فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا يَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ إِلا شَيْخًا بِالْحِرَةِ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الشَّوْكِ وَالْقَرَظِ (نوع من ورق الشجر) ، فَقَالَ : إِنَّ الدِّين الَّذِي تَطْلُبُ قَدْ ظَهَرَ بِبِلاَدِكَ ، قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ ، قَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ ، وَجَمِيعُ مَنْ رَأَيْتُهُمْ فِي ضَلاَلٍ ، فَلَمْ أُحِسَّ بِشَيْءٍ بَعْده يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : وَقَدَّمَ إِلَيْهِ السُّفْرَةَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا مُحَمَّد ؟ قَالَ : شَاةٌ ذَبَحْنَاهَا لِنُصُبٍ مِنَ الأَنْصَابِ ، قَالَ : فَقَالَ : مَا كُنْتُ لآكُلَ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَتَفَرَّقْنَا ، قَالَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ : فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ ، وَأَنَا مَعَهُ ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، قَالَ : وَكَانَ بالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ : إِسَاف وَالآخَرُ يُقَالُ لَهُ : نَائِلَةُ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا تَمَسَّحُوا بِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تَمَسَّحْهُمَا ، فَإِنَّهُمَا رِجْسٌ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لأَمَسحَنَّهُمَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَسَّحْتُهُمَا فَقَالَ : يَا زَيْدُ ، أَلَمْ تُنْهَ ؟ قَالَ : وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَأُنْزِلَ

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ لِزَيْدٍ : إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ. " [رواه أبو يَعْلَى المَوْصِلِيّ وأحمد بن حنبل مختصرًا والنسائي في الكبرى بسند رجاله ثقات]

وعن سعيد بن زيد قال : سأَلْتُ أنا وعمرُ بنُ الخطَّابِ رسولَ اللهِ ﷺ عن زيدِ بنِ عمرٍو فقال يأتي يومَ القيامةِ أمَّةً وحدَه " [رواه أبو يعلى بإسناد حسن]

السيدة خديجة

يقول الكاتب عن السيدة خديجة " إن قريشًا لم تعرف قط أحدًا أملك لنفسه وأضبط لأمره وأقدر على عواطفه من هذه السيدة الجميلة الوضيئة الرزينة التي كادت تبلغ من سنها الأربعين." [1] وذكر أصحاب السير سن السيدة خديجة عند زواجها بالنبي ﷺ فقيل أربعون عاماً وقيل غير ذلك، والأشهر والأقوى أربعون عاماً كما ذكر الكاتب .

قال الكاتب على لسان السيدة خديجة : " وعلمتن أنه محمد بن عبد الله ذلك الذي كان يرعى لقومه الغنم بالقراريط في أجياد (جبل بمكة) " [2]

وهذا المعنى ورد في حديث صحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَاعِىَ غَنَمٍ " قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " وَأَنَا كُنْتُ أَرْعَاهَا لأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيطِ (جَمْعُ قِيرَاطٍ وَهُوَ نِصْف عُشْرِ الدِّينَار)" . [رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ]

حرب الفجار

يقول الكاتب : " ولقد أشفقت خديجة على هذا الصبي أشد الإشفاق حين علمت ذات يوم أنه خرج مع عمومته إلى عكاظ، فشهد معهم حرب الفجار ، وما أشد ما كان إعجابها به، وما أعظم ما كان

اغتباطها حين علمت أنه عاد مع عمومته من حرب الفجار سالمًا آمنًا موفورًا، لم يمسسه أذى، ولم ينله مكروه ! " [1]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٠ .
([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٢٨ .

ذكر أصحاب السير : ابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن سعد أن النبي شهد حرب الفجار مع أعمامه ، فكان يناول أعمامه السهام أحيانًا ويقاتل معهم أحيانًا أخرى .. وكانت هذه الحرب بين كنانة وقيس ، وقد انضمت قريش إلى كنانة دفاعًا عن قداسة الأشهر الحرم ومكانة أرض الحرم ، واستمرت هذه الحرب أربعة أعوام ، ثم انتهت بالصلح بين الفريقين .

واختلف أصحاب السير في عمر النبي حينئذ ما بين الخامسة عشر والعشرين . ولعل النبي ﷺ اشترك في هذه الحرب وهو في الخامسة عشر وعندما انتهت كان عمره نحو عشرين عاماً وبهذا يرتفع الخلاف .

حلف الفضول

ذكر الكاتب أن الرسول قد شهد حلف الفضول : " أن فتى حدَثًا من فتيان قريش لم تتجاوز به سنه العشرين، قد كان مع هؤلاء السادة من شيوخ قريش، وقد عرف معهم ما عرفوا، وأنكر معهم ما أنكروا، وعاهدهم على ما تعاهدوا عليه .وقد كان في ذلك كله كأرحبهم حلمًا، وأذكاهم قلبًا، وأكرمهم نفسًا، وأحرصهم على الخير والبر، وأسبقهم بالمعروف، وأعطفهم على البائس والضعيف . فعل هذا الفتى ذلك كله، وإن أترابه من شباب قريش لمنصرفون إلى لذاتهم على اختلافها وتباينها .ولم يكن هذا الفتى إلا محمد بن عبد الله ذلك اليتيم الذي أصبح حديث قريش كلها، تعجب به، وتتحدث عنه، وتضربه لشبابها مثلا. " [٢]

وصحَّ شهود النبي حلف الفضول فعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلامِ لأَجَبْتُ " ، قَالَ الْقُتَيْبِيُّ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ : وَكَانَ سَبَبُ الْحِلْفِ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَتَظَالَمُ بِالْحَرَمِ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣١ .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٢ .

الْمُطَّلِبِ فَدَعَواهُمْ إِلَى التَّحَالُفِ عَلَى التَّنَاصُرِ ، وَالأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، فَأَجَابَهُمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ ." [صحيح البيهقي] .

يقول الكاتب : " وإن قريشًا كلها لمجتمعة على حبه وإيثاره، والإعجاب بسيرته وأخلاقه، وإنها لا تسميه محمدًا، وإنما تسميه الأمين." [1]

وتسمية قريش النبي بالأمين صحيحة فروى الحاكم في مستدركه عن مُجَاهِد ، قَالَ :قَالَ لِي مَوْلايَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ : كُنْتُ فِيمَنْ بَنَى الْبَيْتَ ، فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَسَوَّيْتُهُ، فَوَضَعْتُهُ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَعْبُدُهُ ، فَإِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ الشَّيْءُ أَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا لَبَنٌ طَيِّبٌ فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَصَبُّوهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ ، فَقَالَ : اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : هَذَا الأَمِينُ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الأَمِينَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، قَدْ رَضِينَا بِكَ ، فَدَعَا بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبَطْنِ ، وَلِهَذَا الْبَطْنِ غَيْرَ أَنَّهُ سَمَّى بُطُونًا " : لِيَأْخُذْ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ رَفَعُوهُ ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ . " [قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ]

سَفَر النبي في تجارة السيدة خديجة

ذكر الكاتب خبر اختيار السيدة خديجة للنبي للخروج في تجارتها فقال " وما كان الفتى في حاجة إلى ترغيب أو تشجيع؛ فإن الذي قد ألقى في نفس خديجة اختياره لتجارتها هذا العام، وألقى في نفس أبي طالب قبول هذا الاختيار حين عرضه رسول خديجة عليه، قد ألقى في نفس الفتى قبول هذا الاختيار حين تحدث إليه عمه فيه . " [2] وأرسلت معه خادمها ميسرة لرعياته وإحاطتها بأحواله : " أرسلت معه غلامها القوي الفتيَّ الأمين الناصح، وهو خليق أن يحوطه ويرعاه " [3]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٣ .
([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٤ .
([3]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٨ .

وما ذكره الكاتب لا خلاف عليه عند أصحاب السير وإنما الخلاف فيما ذكره ميسرة للسيدة خديجة عن أحوال النبي في هذه الرحلة .

وأول مشهد من خبر عجائب هذه الرحلة ما قاله الكاتب على لسان السيدة خديجة: " فإني أرى شيئًا لم يرَ الناس مثله قط وقد أقبلن ، فنظرن ، فرأين شيئًا لم يرَ الناس مثله قط : رأين فتى مشرق الوجه، واضح الجبين، مهيب الطلعة، يسعى به بعيره تحت هذه الهاجرة المحرقة، ويخوض به لهيب هذه النار المضطرمة، وإن عن يمينه وشماله لشخصين تحسهما العين ولا تحققهما، تراهما من غير شك ولكنها لا تميزهما . ترى أنهما لا يمشيان على الأرض، وإنما يسعيان في الهواء سعيًا رفيقًا، وهما يظللان هذا الفتى ذا الوجه المشرق والطلعة المهيبة، ويحميان حر وجهه الجميل من هذه الشمس المحرقة "[1]

يقول ابن إسحاق عن تظليل الملكين للنبي: " فَكَانَ مَيْسَرَةُ – فِيمَا يَزْعُمُونَ – إذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدّ الْحُرّ ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلّانِهِ مِنْ الشّمْسِ – وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ . " [2]

لقد روى ابن إسحاق الخبر دون إسناد وقوله " فيما يزعمون " يدل على شكِّه في الرواية فالفعل " زَعَمَ " يُسْتَعْمَلُ في الشَّكِّ والظَّنِّ وَما يُعْتَقَدُ أَنَّهُ كَذِبٌ . وهو القول بلا دليل ، وهو الخبر الذي يغلب عليه الكذب .

ثم قصَّ الكاتب بإطنابه المعروف وإسهابه المشهود ما رواه ميسرة للسيدة خديجة من أحوال النبي في تلك الرحلة في ثماني صفحات كاملة من بين ما جاء فيها على لسان ميسرة : " قال : سمعت كأن القمر يقول للأرض : وددت لو استطعت أن أمهد له من أشعتي هذه المشرقة اللينة الرطبة وطاء وثيرًا ؛ فإني أخشى عليه أديمك الصلب ومسَّك الغليظ .

وسمعت الأرض تجيب القمر قائلة :إن يكن أديمي صلبًا ومسِّي غليظًا، فإني أعرف كيف ألين له وأرفق به، وهو سيد من مشى عليَّ منذ كنت . ولكن قل لأختك الشمس

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٨ .

([2]) ابن هشام " السيرة النبوية " ص ١٨٩ .

ترفق به إذا كانت الظهيرة ورمت أشعتها باللهيب . وأسمع صوتًا ثالثًا يقول :لا عليكما ! فإن الذي آثره بالكرامة، وفضله على الخلق كله، خليق أن يحميه من كل شيء، ويعصمه من كل ضر، ويرد عنه الأذى مهما يكن مصدره . وأستوي يا مولاتي جالسًا، قد امتلأ قلبي رعبًا وعجبًا لما رأيت وما سمعت . ومن الحق أني لم أسمع ذكر محمد، ولكني لم أشك في أنه كان المعني بهذا الحوار . " [1]

وما قاله الكاتب على لسان ميسرة وهو يقص للسيدة خديجة خبر سفره من النبي ﷺ هو بلا شك من أساطير طه حسين اكتتبها ونسبها لميسرة زوراً وبهتاناً ، وطه حسين هنا لا يفرق بين سيرة النبي المرسل وأساطير آلهة وأبطال اليونان التي انتحلها أدباء اليونان . والنبي ﷺ لا يحتاج هذه الأساطير لإثبات نبوته بل بالعكس هذه الأساطير بيِّنة الوضع تشكك في المعجزات الصحيحة فإن المغرضين والمتشككين يجعلون المكذوب مع الصحيح ويركموه جميعاً فيجعلونه من جملة أساطير الأولين التي هي عندهم أفيون الشعوب أو في أحسن تقدير مادة للتسلية واللهو لا ديناً سماويّاً وسيرة رسول كريم مرسل من رب العالمين . وإن أمثال طه حسين وغيره ييسرون لهم سبيل ذلك .

حقيقة الشجرة التي لا يجلس تحتها إلا نبي

ثم يقول الكاتب على لسان ميسرة : " أنفقنا أيام الرحلة إلى الشام، ما ارتفعت الظهيرة قط إلا رأيت هذين الشخصين الغريبين يسايران ابن عمك في الهواء حافِّين به، مظللين عليه، حتى إذا بلغنا بُصرَى أو أردنا أن نعرض تجارتنا في سوقها، سألت محمدًا أن يأذن لي في أن أزور راهبًا تقوم صومعته غير بعيدة من السوق . وكنت قد تعودت ألا آتى بُصرَى إلا ألممت به قبل أن أعرض تجارتي ! لأني أجد من قلبي إليه ميلاً ، وأنتظر من زيارته بركة وخيرًا، وأنا رجل نصراني كما تعلمين يا سيدتي، أحب الرهبان،

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٢ .

وأكُبر الأحبار . فيأذن لي محمد في أن ألمَّ بصومعة صاحبي، وينتظرني في ظل شجرة قريبة من الصومعة.

وما أخفي عليك يا مولاتي أني كنت أريد أن أسأل " نسطور " الحبر عما رأيت من أمر محمد هذا ! فقد كنت أخشى على نفسي الجنون، وأخاف أن يكون قد مستها طائف من الشيطان . وكنت أريد أن أستعين ببركة هذا الشيخ على البراءة من هذه العلة الطارئة والمحنة العارضة . ولكني لا ألبث أن أستبشر ويمتلئ قلبي غبطة وحبورًا . فما أكاد ألقى " نسطور " وأبدؤه بالتحية حتى يسألني عن صاحبي هذا الذي جلس في ظل تلك الشجرة : من هو؟ فما أكاد أذكر اسمه حتى يسألني : أفي عينيه حمرة لا تفارقها ؟ فما أكاد أجيبه أن نعم، حتى ينظر إليَّ مشرق الوجه ويقول لي مبتهجًا لا يكاد يملك نفسه من الفرح : إنه لنبي هذه الأمة ؛ فما جلس قط تحت هذه الشجرة إلا نبي ." [1]

هذا الذي ذكره الكاتب مما لا يصح عقلاً ولا نقلاً ، لا يصح عقلاً أن تكون الشجرة المذكورة ما جلس تحتها إلا نبي !! شجرة مشاعٌ في طريق الناس ثم ينصرفون عن الجلوس تحتها رغم لظى الشمس وهجير النهار ، ثم من أعلم هذا الراهب بهذا الخبر ولم يذكره غيره من أهل الكتاب ، وكم عمر هذه الشجرة التي جلس تحتها الأنبياء من لدن آدم حتى النبي ؟!! ولماذا يضن هذا الراهب على نفسه أو على من يحب أن يجلس تحتها حتى يكون نبي هذا الزمان ، وإن قال قائل ولكن كيف يسمح الراهب لنفسه أن يجلس تحت الشجرة والله لم يصطفيه للنبوة ، ونقول له إن في كتب أهل الكتاب التي مازالت بين يدي الناس ما يؤيد جواز سرقة النبوة من أصحابها . [2]

ولكي يجعل الكاتب خبر الشجرة التي جلس النبي تحتها معقولاً انتحل لها أسطورة أخرى ونسبها للراهب نسطور وميسرة .

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٤ .

([2]) راجع سفر التكوين الأصحَاح ٢٧ الأعداد من ١- ٤٠ الذي يذكر بالتفصيل كيف سرق يعقوب النبوة من أخيه عيسو وغفلة إسحاق عن إدراك هذا إلا بعد وقوعه وقوله لعيسو : « قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ ».

يقول الكاتب على لسان ميسرة مخاطباً نسطور : " ما علمك بذلك ؟ شجرة قائمة منذ عهد قريب أو بعيد قد امتدت غصونها، فأظلت جانبًا من الأرض . فما أكثر الذين يأوون إليها، ويستظلون بها إذا اشتدت حرارة الشمس!

قال نسطور باسماً وقد وضع يده على كتفي : " أتذكر أنك رأيت هذه الشجرة عام أول ؟ "

قلت : " ما أدري، وما أكثر ما رأيت من الشجر، وما أنا بقادر على أن أحصي منها كل ما رأيت . "

قال نسطور : " أتذكر أنك رأيتها حين أقبلت على بُصرى مع الصباح " .

قلت : " ما أدري ! ولكني رأيتها حين أوى إليها سيدي . "

قال نسطور : " فإذا انطلقت مع سيدك إلى السوق لتعرضا تجارتكما، فتخلَّف عنه وعد إلى مكان هذه الشجرة؛ فإن رأيتها حيث تراها الآن فاعلم أني لم أصدقك الحديث، وإن لم ترها فهذا تأويل ما قلت لك . "

ثم اتسعت ابتسامة نسطور على ثغره وقال : " ومع ذلك فما لك لا تسأل رفاقك من أصحاب العير على هذه الشجرة ! فما رآها منهم أحد، وما يراها الآن منهم أحد " [1]

وهذا الحديث الذي انتحله طه حسين على ميسرة ونسطور ولم يقل به أحد من أصحاب السير يضاف إلى رغبة الكاتب في إلباس الحق بالباطل وإلصاق الأساطير بسيرة خير المرسلين .

هل كان النبي يعلم خبر نبوته قبل البعثة أم لا ؟

إذا كان خبر الراهب نسطور صحيحاً فلا بد أن يكون قد شاع بين أهل الكتاب أو على الأقل علم به ورقة بن نوفل الباحث عن الحق في كتب أهل الكتاب المنتظر ظهور النبي الأمي الذي يجده مكتوباً عنده في التوراة والإنجيل [2] وإن لم يبلغ هذا

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

([2]) سيأتي لاحقاً ذكر ابن إسحاق خبر معرفة ورقة بما رواه ميسرة عن الراهب نسطور .

الخبر ورقة ، مع استبعاد ذاك ، فلابد أن يكون قد بلغ السيدة خديجة ولا سيما أن الرواية تؤكد علم خديجة بخبر الراهب نسطور ، وإن لم يكن قد بلغ السيدة خديجة فحتماً قد بلغ النبي ﷺ نفسه واستقر في ذاكرته وأخذ يستعد للحظة بعثته التي لا يرتاب فيها ، ولا يكون حائراً في بلوغ الحق .

ولكن القرآن الكريم يصرح بحيرة النبي ﷺ وعدم اهتدائه للحق ، وعدم معرفته بأمر النبوة قبل أن يرسل الله تعالى إليه جبريل . يقول الله تعالى ممتنّاً على نبيه ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى﴾ قال القرطبي في تفسير الآية " أي غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، فهداك: أي أرشدك. والضلال هنا بمعنى الغفلة؛ كقوله جل ثناؤه: ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾ أي لا يغفل. وقال في حق نبيه: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ " [1] وقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة " أي كنت من قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان، حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]

روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما. " [2]

فالقرآن يقطع أن النبي ﷺ لم يكن يعلم بأمر رسالته قبل أن يأتيه جبريل في غار حراء والأحاديث الصحيحة تبين هذا غاية البيان فعندما جاء سيدنا جبريلُ النبيَّ ﷺ في الغار وقال له اقرأ لم يكن عند النبي ﷺ تفسيراً لما جرى له ونزل فزعاً مرتعداً يقول زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي وخشي على نفسه ولو كان يعلم من أمر نبوته شيئاً لأدرك لمَّا انتابه ما انتابه ، ولو كان ميسرة قد أخبر السيدة خديجة بكلام الراهب لما نسيته ولذكَّرت النبي ﷺ به لتطمئنه على نفسه بل إنها لم تذكر شيئاً من هذا وذكرته بحسن خلقه

([1]) تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٩٦ .

([2]) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٦٠ .

وحسن معاملته الناس ومن كان هذا خلقه فلن يخزيه الله أبداً وأخذته إلى ابن عمها ورقة الذي فوجئ بما سمعه من النبي ﷺ وبشَّره بالنبوة لأول مرة .

وإليك ما جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ .

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إلا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ " [متفق عليه]

والكاتب يعلم أن رسول الله لم يكن يعلم بأمر نبوته قبل أن بعثته فماذا يفعل وقد ذكر معرفة ميسرة بذلك الأمر وقطعاً سيخبر النبي بكلام الراهب نسطور كما أخبر السيدة خديجة فاحترز لذلك وقال على لسان ميسرة مخاطباً نسطور : " قلت وقد كدت أطير فرحًا : لأسرعنَّ إلى محمد فلأنبئنه بما تقول. "

قال وهو يضحك في شيء من الحزن الهادئ العميق : " حاول من ذلك ما شئت فلن تستطيع، ولن يستطيع أحد أن يتحدث إلى محمد منه بشيء . إن الله يدبر الأمور ويجريها كما يريد لا كما نريد .ولن ينبئ محمدًا بما كتب الله له من كرامة، وما خبأ له الغيب من عظائم الأمور أحد من الناس، وإنما الله وحده هو الذي ينبئه بذلك متى أراد وكيف أراد . " [1]

ويستمر الكاتب في سرد الأدلة المنحولة أو الواهية لصرف ميسرة عن إخبار النبي بما قاله نسطور بشأن نبوته فيقول على لسام ميسرة مخاطباً السيدة خديجة : " يا سيدتي ، وفي نفسي أن أتحدث إلى محمد بما رأيت وما سمعت على رغم ما زعم نسطور ولكني لا أكاد أبلغه حتى يتصل بينه وبيني حديث التجارة دون غيره من الأحاديث . ونمضي إلى السوق، وأخالف عن محمد حينًا فأعود إلى الصومعة لأنظر إلى الشجرة فلا أرى شجرة ولا شيئًا يشبه الشجر ، وإنما أرى نسطور قائمًا أمام صومعته ينظر إليَّ ويضحك لي، ثم يتولى إلى صومعته وعلى وجهه بعض الكآبة والحزن . وأسرع إلى محمد فأبلغه في السوق، وإن بينه وبين أحد النصارى لخصومة واختلافًا في بعض الأمر ، والنصراني يسأل محمدًا أن يقسم باللات والعزى، فإذا محمد يجيبه في صوت هادئ ما سمعت قط شيئًا يشبهه عذوبة وليناً " ما حلفت بهما قط ، وإني لام ربهما فأعرض عنهما " فيقول النصراني له : " القول قولك . " ثم يتحول إليَّ فيهمس في أذني قائلاً " هذا والله نبيٌّ تجده أحبارنا منعوتًا في كتبهم " [2]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٥.

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٦.

وكلام ميسرة حتى قوله " إن بينه وبين أحد النصارى لخصومة .. " مكذوب لا أصل له ، وما بعده من لكلام سنده واهٍ لا يصح فقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر " .. باع رسول الله ﷺ سِلْعتَه فوقع بينه وبين رجل تَلاحٍ فقال احلِفْ باللات والعُزَّى فقال رسول الله ﷺ ما حلفتُ بهما قطُّ إني لأمرٌ فأُعْرِض عنهما

فقال الرجل القولُ قولُك ثم قال لِمَيْسَرةَ هذا واللهِ نَبيٌّ تَجدُه أحبارُنا مَنعوتاً في كتبهم "[1]

وهذه الرواية لم يروها ابن اسحاق ولا ابن هشام ولا البيهقي ولا الترمذي ولا ابن حبان ولا ابن كثير وهم أصح كتب السيرة فما زادوا عن قول ابن إسحاق حرفاً " فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ قَطّ إلا نَبِيّ . ثُمّ بَاعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سِلْعَتَهُ الّتِي خَرَجَ بِهَا ، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمّ أَقْبَلَ قَافِلا إلَى مَكّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ . " [2]

والرواية التي أخرجها ابن سعد وابن نعيم لا أثر لها في كتب الحديث ولا في أصح كتب السيرة كما ذكرنا .

إذن رواية ميسرة التي ذكرها الكاتب كما أنها لا تصح عقلاً فإنها لا تصح سنداً كذلك ؛ فلا سند صحيح لها ، وقد يقول قال ولكن كثيراً من أصحاب السير ذكروا بعضاً من هذه الرواية .

قال ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ . مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إيّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجّارًا ؛ فَلَمّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَا بَلَغَهَا ، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلاقِهِ بَعَثَتْ إلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إلَى الشّامِ تَاجِرًا ، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التّجّارِ مَعَ غُلامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غُلامُهَا مَيْسَرَةُ حَتّى قَدِمَ الشّامَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي ظِلّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنْ الرّهْبَانِ فَاطّلَعَ الرّاهِبُ إلَى مَيْسَرَةَ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا

([1]) جلال الدين السيوطي " الخصائص الكبرى " ص ١٥٣ .

([2]) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٨ .

الرّجُلُ الّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ؛ فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ قَطّ إلا نَبِيّ . ثُمّ بَاعَ رَسُولُ ﷺ وَسَلّمَ سِلْعَتَهُ الّتِي خَرَجَ بِهَا ، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمّ أَقْبَلَ قَافِلا إلَى مَكّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ . فَكَانَ مَيْسَرَةُ – فِيمَا يَزْعُمُونَ – إذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدّ الْحُرّ ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلّانِهِ مِنْ الشّمْسِ – وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ . فَلَمّا قَدِمَ مَكّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا ، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَ أَوْ قَرِيبًا . وَعَمّا كَانَ يَرَى مِنْ إظْلَالِ الْمَلَكَيْنِ إيّاهُ . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً مَعَ مَا أَرَادَ اللّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ – فِيمَا يَزْعُمُونَ – يَا ابْنَ عَمّ . إنّي قَدْ رَغِبْتُ فِيك لِقَرَابَتِك ، وَسِطَتِكَ فِي قَوْمِك وَأَمَانَتِك وَحُسْنِ خُلُقِك ، وَصِدْقِ حَدِيثِك ، ثُمّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وَأَعْظَمَهُنّ شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنّ مَالا ؛ كُلّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ . " [1]

الفرق بين الحديث الشريف والسيرة النبوية من حيث التدوين

والحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين تدوين الحديث الشريف ، وتدوين السيرة النبوية ففي حين بدأ تدوين الحديث الشريف في حياة رسول الله ، بإذن ، بل بأمر منه ، فإن كتابة حياة رسول الله ﷺ ومغازيه بصورة عامة قد تأخر ، وما دون في القرن الأول منها قد اندثر وتلف مع الزمن ولم يبق منه إلا بقايا متناثرة ، وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن إسحاق المتوفي ١٥٢ هـ يعد من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد ، ولئن لم يصل إلينا كتابه (المغازي) بذاته إلا أن ابن هشام قد جاء من بعده ، فروى لنا كتابه هذا مهذباً مُنَقَّحاً ، ولم يكن قد مضى على تأليف ابن إسحاق له أكثر من خمسين سنة .

وعليه فينبغي على الباحث في السيرة ألا يسلم بكل ما جاء في كتب السير بل يجب أن يعرضه أولاً على كتاب الله الذي ﴿لاَّ يَأْتِيهِ الباطل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ

([1]) ابن هشام " السيرة النبوية " ص ١٨٨– ١٩٠

خَلْفِهِ ﴾ ثم على الصحيح من أحاديث النبي ويعرض عما يتعارض مع الكتاب والسنة الصحيحة .

حقيقة خبر الراهب والشجرة وتظليل الملكين للنبي

إن خبر الراهب والشجرة وتظليل الملكين للنبي ﷺ لم يُذكر في الصحيح ، كما ذكرنا ، وشكك فيه بعض كتاب السيرة مثل : علي بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية ، وأكثر الكتَّاب المحققين المعاصرين تجاوزوا خبر الراهب وتظليل الملكين للنبي ﷺ وغير ذلك من خوارق الأمور ولم يذكروه :

قال د. محمد الطيب النجار : " وظهرت له بركات قصها ميسرة على سيدته بعد عودتهما، فأحبت السيدة خديجة محمدًا ﷺ حبًّا جمًّا من أجل ما رأت منه وما سمعت عنه. " (١)

ولم يعلق الأستاذ عبد السلام بن محمد بن عمر علوش الذي خرَّج أحاديث الكتاب وعلَّق عليه إقراراً للدكتور الطيب النجار فيما قال .

ويقول الكاتب العلامة محمد فريد وجدي " سافر محمد بن عبد الله إلى ذلك الإقليم مع غلام لها اسمه ميسرة فباع واشترى وأربحها ربحاً عظيماً ، فوجدت فيه الرجل القوي الأمين فخطبتها لنفسها فتزوجها " (٢)

ويقول د. محمد سعيد البوطي " ووجد ميسرة من خصائص النبي ﷺ وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه ، دهشة له ، وإعجابا به فروى ذلك لخديجة . فأعجبت خديجة بعظيم أمانته ، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها " نفسية بنت منية " فوافق النبي ﷺ " (٣)

---

(1) د. محمد الطيب النجار " "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" ج ١ص ١٠٢

(2) محمد فريد وجدي " السيرة المحمدية " الهيئة المصرية العامة للكتاب " ص ٨٥

(3) محمد سعيد البوطي " فقه السيرة " دار الفكر المعاصر بيروت ص ٨٠

ويقول العلامة الشيخ محمد الغزالي " أرسلت خديجة إلى النبي ﷺ ليخرج في مالها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره ومعه غلامها ميسرة وقد قبل محمد ﷺ هذا العرض ورحل إلى الشام عاملاً في مال السيدة التي اختارته ، ويظهر أن التوفيق حالفه في هذه الرحلة أكثر من سابقتها مع عمه فكان ربحها أجزل ، وسُرَّت خديجة بهذا الخبر الذي أحرزته ولكن إعجابها بالرجل الذي اختبرته كان أعمق ... فقد رأت رجلاً تقفه كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز فما تطلع إلى مالها ولا إلى جمالها لقد أدَّى ما عليه ثم انصرف راضياً مَرْضياً ووجدت خديجة ضالتها المنشودة فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها " نفيسة بنت منية " وهذه ذهبت إلى محمد تفاتحه أن يتزوج من خديجة " [1] ولم يعقب العلامة الألباني الذي راجع الكتاب وخرَّج أحاديثه على كلام الغزالي إقراراً بما قال وإن كانت رواية بن إسحاق صحيحة لنوَّه إليها ولام على الكاتب عدم الاستشهاد بها .

يقول المباركفوري صاحب الرحيق المختوم " ولما رجع (أي النبي) إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأي فيه ﷺ من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين " [2]

إن قال قائل إذا كان خبر الراهب نسطور غير صحيح فإن خبر الراهب بحيرى صحيح صححه الألباني عن أبي موسى الأشعري : " الْتِقَاؤُهُ بالرَّاهِبِ ، بَحِيرَى الذي تَفَرَّسَ فيه ورأى مَعَالِمَ النُّبُوَّةِ في وجهِه وبينَ كَتِفَيْهِ ، فلما سأل أبا طالبٍ : ما هذا الغلامُ منكَ ؟ قال : ابْنِي ، قال : ما يَنْبَغِي أن يكونَ أَبُوهُ حَيًّا ! قال : فإنه ابنُ أَخِي مات أَبُوهُ وأُمُّهُ حُبْلَى به . قال صَدَقْتَ ، ارْجِعْ به إلى بَلَدِكَ واحْذَرْ عليه يَهُودَ. " وهذا الحديث قال عنه الإمام الذهبي " هو حديث منكر جدّاً .. " .

([1]) محمد الغزالي " فقه السيرة " دار الريان ص ٨٠

([2]) صفي الرحمن المباركفوري " الرحيق المختوم " ص ٤١

وعلى فرض صحة الحديث فإن بحيرى لم يخبر أبا طالب بأن محمداً سيكون نبياً فلم يزد بحيرى على أن قال له " احذر عليه اليهود " .

وأهل الكتاب كانوا واثقين أن نبيّاً قد آن وقت ظهوره ولكنهم كانوا يظنون أنه سيخرج منهم من بني إسرائيل وعليه فإن خبر نبوة سيدنا محمد لم يعلم به أبو طالب وأهل مكة والنبي نفسه حتى بعثته ﷺ .

وقول هرقل حين بلغه كتاب النبي ﷺ يؤكد أنهم كانوا يعتقدون بعثة آخر الانبياء ستكون من بني إسرائيل وليس من العرب .

وهذا نص ما رواه البخاري عن ابن عباس " أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ

فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ **وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ** فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ

النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلا الْيَهُودُ فَلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ **وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ** ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ " [صحيح البخاري]

وبهذا نقطع بأن أحداً من أهل مكة لم يكن يعلم بنبوة محمد ﷺ قبل بعثته ﷺ وأن أهل الكتاب الَّذِين يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ لم يخبروا أهله أن هذه الصفات تنطبق على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وإلا كان ذلك حجة عليهم عندما بعث وكفروا به فإنه لم يرد ما يدل على أن النبي ﷺ أو غيره واجه أحداً من أهل الكتاب بما أخبروا به من نبوة محمد ثم عندما بعث أنكروا ذلك ، بل القرآن الكريم هو الذي واجه أهل الكتاب بما جاء في كتبهم من صفات النبي وكفرهم به بعد ذلك . ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٨٩]

يقول د. سيد طنطاوي في تفسر الآية " بين سبحانه حقيقة حالهم بعد أن جاءهم الكتاب والرسول فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ ﴾ أي : فلما جاءهم ما كانوا يستفتحون به على أعدائهم ويرتقبونه جحدوه وكفروا به .. ومعرفتهم بصدق الرسول ﷺ وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة في التوراة عن

النبي ﷺ فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به ، ولكن خوفهم على زوال رياستهم وأموالهم ، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبي المبعوث منهم لا من العرب ، ملأ قلوبهم غيظاً وحسداً ، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها ، وحال بينها وبين أن يكون لها أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق .

ولقد حاول رئيسهم عبد الله بن سلام أن يصرفهم عن العناد وأقسم لهم بأن ما جاء به النبي هو الحق المصدق لما معهم أن يتبعوه ولكنهم عموا وصموا وتنقصوه ولذا لعنهم الله تعالى، وأبعدهم عن رحمته كما قال تعالى : ﴿فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكافرين﴾"[1]

حديث السيدة خديجة مع ورقة حول ما سمعت من ميسرة

يقول الكاتب على لسان السيدة خديجة مخاطبة مورقة بن نوفل : " فإنك تعلم أني أرسلت في تجارتي هذا العام محمد بن عبد الله " .

قال ورقة : " نعم ! وقد يظهر أن شئونًا غريبة عرضت له في بعض الطريق " .

قالت خديجة : " أو علمت ؟ " .

قال ورقة : " سمعت من ذلك أطرافًا ؛ فقد كان رفاقه يتحدثون بأمر ميسرة وبما كان يزعم لهم؛ ومنهم من يظهر العجب لذلك، ومنهم من يمعن في إنكاره . وقد سألت ميسرة فأفضى إليَّ بحديثه كله، وقص عليَّ ما سمع من نسطور . " [2]

وما قاله الكاتب رواه ابن هشام وغيره عن ابن إسحاق .

قال ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَدْ ذَكَرَتْ لِوَرَقَةِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى – وَكَانَ ابْنَ عَمّهَا ، وَكَانَ نَصْرَانِيّا قَدْ تَتَبّعَ الْكُتُبَ وَعَلِمَ مِنْ عِلْمِ النّاسِ – مَا ذَكَرَ لَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ مِنْ قَوْلِ الرّاهِبِ وَمَا كَانَ يَرَى مِنْهُ إذْ كَانَ

([1]) محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ج١ ص ١٤٥ .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٧ .

الْمَلَكَانِ يُظِلانِهِ فَقَالَ وَرَقَةُ لَئِنْ كَانَ هَذَا حَقّا يَا خَدِيجَةُ ، إنّ مُحَمّدًا لَنَبِيّ هَذِهِ الأُمّةِ وَقَدْ عَرَفْت أَنّهُ كَائِنٌ لِهَذِهِ الأُمّةِ نَبِيّ يُنْتَظَرُ هَذَا زَمَانُهُ أَوْ كَمَا قَالَ فَجَعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الأَمْرَ وَيَقُولُ حَتّى مَتَى ؟ " (١)

ورواية ابن إسحاق رواها بلا سند ويردها الحديث المتفق عليه حديث بدأ الوحي الذي سبق ذكره .

ورغم علم خديجة وعلم ورقة وغيرهما بما قاله ميسرة إلا أن الكاتب كما سبق وذكرنا يصر على أن النبي هو الوحيد ، وهو صاحب الشأن ، الذي لم يعلم بهذا الأمر شيئاً وبرر الكاتب ذلك بعدم إرادة الله إعلامه ذلك قبل البعثة ، ويبدو أن الكاتب بحث عن دليل عقلي أو نقلي يؤيد ما يزعم فلم يجد ، لأنه بالفعل غير موجود ، فانتحل حواراً على لسان السيدة خديجة وورقة بن نوفل هذا نصه :

قال خديجة : " فأنت إذًا ترى لمحمد شأنًا ؟ "

قال ورقة : " ما أشك في ذلك . ولكني لا أدري متى يكون هذا الشأن، وإني لأنتظره، وإني لأتعجله، وإني لأريد أن أتحدث إلى محمد فيه ، فلا أجد إلى ذلك سبيلا ما لقيته قط . فما هممت بالتحدث إليه في أمر الدين إلا انعقد لساني عن الحديث، وانصرفت نفسي عما كنت أريد أن ألقي إليه . "

قالت خديجة : " وما ذاك؟ وكيف تُؤَوِّله ؟ "

قال : " تأويله يا ابنة عم أن الله يريد أن يستأثر بإنباء محمد بما كتب له من كرامة، وما هيأ له من أمر عظيم .وهو لا يريد أن ينبئه بذلك إلا حين يبلغ الكتاب أجله، وينتهي الأمر إلى إبانه . "

قالت خديجة : " فإني لا أفهم ظهور هذه البشائر والآيات لبعض الناس دون بعض، وانجلاء هذه الحقائق والمعجزات لبعض القلوب دون بعض . "

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية " ص ١٩١

قال ورقة : " لو شاء الله لأظهر هذه الآيات للناس جميعًا، ولو شاء الله لما أظهر من هذه الآيات شيئًا لأحد من الناس ... " [1]

والعجيب أن الكاتب ينتحل كلاماً على لسان السيدة خديجة وورقة يكذبه ما ورد في السنة الصحيحة .

" قال ورقة في صوت : " متهدج فلنرَ كما يرى الناس، ولنعجب كما يعجبون، ولكن لنجتهد في ألا ننسى؛ الذكرى قد تنفع في يوم من الأيام، وهي بعدُ الخصلة التي تميز القلب الكريم . " [2]

والحقيقة التي ذكرتها الأحاديث أن السيدة خديجة لم تذكر للنبي شيئاً مما قاله لها ميسرة أو ورقة بن نوفل ، وكذلك عندما حكي النبي لورقة ما جرى في غار حراء لم يذكر ورقة شيئاً له من حديث تعاهد هو والسيدة خديجة ألا ينسوه !! بل الأحاديث تؤكد أن ورقة فوجئ بما قاله له النبي ، كما فوجئ هرقل عظيم الروم كما ذكرنا .

زواج النبي بالسيدة خديجة

قال الكاتب : " لقد أحبَّت خديجة هذا الفتى منذ كان صبيّاً ، وجعلت ترعاه من بعيد، وترقب من أمره ما تستطيع أن ترقبه ، وتتبع نموه واكتماله . وكلما نما الفتى نما حبها له وكلفها به . " [3]

ادَّعى الكاتب أن السيدة خديجة كانت تحب محمداً ﷺ منذ صباه وجعلت ترعاه من بعيد .. وهذا الكلام لا دليل عليه ، ثم إنه لا يجوز عقلاً أن تقع سيدة من أشراف مكة وهي زوجة وأم في حب صبي وترعاه .. ولكن ما أجمع عليه الرواة أن السيدة خديجة استأجرت النبي ﷺ في تجارتها عندما ناهز الخامسة والعشرين من عمره ولما رأت من أمانته وما أخبرها به ميسرة من خلقه الرفيع رغبت في الزواج منه أما أن يصور

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٣٧ .
([3]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٤٩ .

الكاتب علاقة السيدة خديجة بالنبي على أنها كانت علاقة حب وغرام منذ الصبا فهذا مما لا يسلم له به بل يؤخذ عليه كما بينت النصوص التي ذكرناها آنفاً .

ولعل أصلح ما روي زواج النبي بالسيدة خديجة – مع ضعف الإسناد– ما ذكره عمار بن ياسر فإنَّ عمَّارَ بنَ ياسِرٍ كان إذا سَمِعَ ما يَتحدَّثُ بهِ الناسُ عن تَزْويجِ رَسولِ ﷺ خَدِيجةَ يَقولُ عمَّارُ : " أنا من أعلَمِ الناسِ بِتزْويجِ رَسولِ اللهِ ﷺ إيَّاها ، كُنتُ من إخوانِه ، فكُنتُ لهُ خِدْنًا وإلْفًا في الجاهليَّةِ ، وإنِّي خرجْتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ ، حتى مَررْنا على أُختِ خدِيجةَ وهِيَ جالِسةٌ على أُدْمٍ لها ، فنادَتْنِي فانْصرفْتُ إليْها ، ووَقفَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالتْ : أمَا لِصاحِبِكَ في تَزْويجِ خَديجةَ حاجةٌ ؟ فأخبرْتُهُ فقال : بلَى لَعمْرِي ، فرَجعتُ إليْها فأخْبرتُها بِما قال رسولُ اللهِ ﷺ قال : اغْدُ إلينا إذا أصْبحتَ غدًا ، فغدَوْنا عليْهِمْ فوجدْناهُمْ قدْ ذَبَحوا بَقرةً ، وألْبَسوا أبا خدِيجةَ حُلَّةً ، وضَربُوا عليه قُبَّةً ، فكلَّمْتُ أخاها فكلَّمَ أباهُ ، فأَخْبَرَ برسولِ اللهِ ﷺ ومَكانِه وسألَهُ أنْ يُزوِّجَهُ ، فصَنعُوا من البَقرَةِ طعامًا ، فأكلْنا مِنْهُ ونامَ أبُوها ، ثمَّ اسْتيقَظَ فقال : ما هذه الحُلَّةُ وهذِهِ القُبَّةُ وهذا الطعامُ ؟ ! قالَتْ لهُ ابْنتُهُ الَّتي كلَّمَتْ عمَّارًا : هذه الحُلَّةُ كَساكَها مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ خِتْنُكَ ، وبَقرةٌ أهْداها إليكَ ؛ فذبحْناها حِينَ زوَّجْتَهُ خدِيجةَ ، فأنْكرَ أنْ يَكونَ زوَّجَهُ ، وخَرجَ حتى جاء الحِجْرَ وخرجَتْ بنُو هاشِمَ حتى جاءُوا ، فقال : أيْنَ صاحِبُكمْ الذي تَزْعُمُونَ زوَّجْتُه خديجةَ ؟ فلَمَّا رأَى رسولَ اللهِ ﷺ ونظَرَ إليه قال : إنْ كُنتُ زوَّجْتُهُ وإلا فقدْ زوَّجْتُهُ " [حديث ضعيف أخرجه البيهقي والبزار]

والعجيب أن الكاتب يذكر رواية ابن سعد في زواج النبي بالسيدة خديجة وهي لا تخرج عن الحديث الذي ذكرناه ، وهو بهذا يناقض نفسه وينسى ما قاله عن حب السيدة خديجة للنبي منذ صغره ، وبهذا ينطبق عليه قول المثل العربي القديم : " إنْ كُنْتَ كَذُوباً فَكُنْ ذَكُوراً " وهو مثل يضرب للرجل الذي يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف قوله الأول .

دور النبي في بناء الكعبة

يقول الكاتب عن نزاع أشراف مكة أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه بعد بناء الكعبة : " ثم يجتمع الملأ منهم صباح يوم فيتناهون ويتناصحون، ثم يشير عليهم شيخ منهم بأن يُحكِّموا في هذه الخصومة أول داخل عليهم من باب من أبواب المسجد، يسمونه باب بني شيبة . فلا يلبثون أن يدخل عليهم من الباب رجل شاب لم يروا أجمل منه طلعة، ولا أعظم منه هيبة، ولا أحسن منه سيرة في قومه . سمعت من أنبائه الشيء الكثير، ولكني استيقنت أنه رجل عظيم الخطر حين رأيتهم ينظرون إلى مقدمه مبتهجين ويصيحون : " هذا الأمين، قد رضينا .هذا محمد، قد سلمنا" ثم يعرضون عليه الخصومة . فما رأيت وقارًا كوقاره، وما رأيت أناة كأناته، وما رأيت هدوءًا كهدوء نفسه، وما رأيت رجلا أرفق منه بقومه، وأعطف منه عليهم، وآثر منه لهم بالخير.

وانظروا إلى قضائه فيهم، فسترون كما أرى أنه لم ينتج عن تفكير إنسان، وإنما كان إلهامًا من الله .

نزع الأمين رداءه فألقاه على الأرض، ثم وضع الحجر في وسطه، ثم قال لقومه : " لينتدب من كل ربع من أرباع قريش رجل " فلما اجتمع أربعة نفر يمثلون قومه كلهم قال : " ليأخذ كل واحد منكم بزاوية من زوايا الرداء " ففعلوا واشتركت قريش كلها في رفع الحجر، وتقسمت قريش كلها هذا الشرف العظيم قسمةً سواءً عدلا، حتى إذا انتهوا إلى البناء آثره ربه بخلاصة هذا الشرف وخير ما في هذه المكرمة، فيأخذ الحجر بيده، ويضعه في موضعه، والقوم راضون فرحون، قد اطمأنت قلوبهم إلى هذا العدل، واستبشروا بما كف عنهم من الشر " [1]

وهذا الخبر مشهور عند أصحاب السيرة رواه ابن إسحاق وابن هشام وأبو نعيم والبيهقي وابن كثير وغيرهم روى الحاكم في مستدركه عن مُجَاهِد ، قَالَ : قَالَ لِي مَوْلايَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ : كُنْتُ فِيمَنْ بَنَى الْبَيْتَ ، فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَسَوَّيْتُهُ ، فَوَضَعْتُهُ

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٦٠ .

إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَعْبُدُهُ ، فَإِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ الشَّيْءُ أَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا لَبَنٌ طَيِّبٌ فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَصَبُّوهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ ، فَقَالَ : اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : هَذَا الأَمِينُ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الأَمِينَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، قَدْ رَضِينَا بِكَ ، فَدَعَا بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبَطْنِ ، وَلِهَذَا الْبَطْنِ غَيْرَ أَنَّهُ سَمَّى بُطُونًا " : لِيَأْخُذْ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ رَفَعُوهُ ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ . " [قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ]

محاولة الشيطان المشاركة في بناء الكعبة

أما قول الكاتب " أقبل هذا الشيخ النجدي يناول الأمين (أي النبي) حجرًا يثبت به الركن الأسود في موضعه، فيقبل رجل من عمومة الأمين، فيأبى على هذا النجدي وينحيه ويدفع إلى الأمين الحجر الذي يشد به البناء . هنالك غضب الشيخ النجدي، فقال له الأمين : " إنه ليس يبني معنا في البيت إلا من كان منَّا " فجعل النجدي يقول : " يا عجبًا لقوم أهل شرف وعقول، وسن وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنّاً، وأقلهم مالا، فَرَأَّسُوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم، كأنهم خدم له . أما والله ليفوتنهم سبقًا، وليقسمن بينهم حظوظًا وجدودًا "

وتسمع قريش حديث النجدي فتسخط عليه وتثور به، وتريد أن تلحق به الأذى، ولكنا ننظر فلا نجد أحدًا، ونبحث فما نعرف إلى أين ذهب، كما لم نعرف من أين جاء. ويقول قائلنا حين استيأسنا منه : " هذا والله إبليس، أراد أن تكون له في بيت ربنا يد، فرُدَّ عن ذلك مدحورًا " (١)

وهذا الخبر من أساطير الكاتب المنحولة ولو نحلها على لسان أي رجال مكة ما اعترضنا أما أن ينتحلها وينسبها للنبي ﷺ فهذا مما لا يجوز .

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

سبب تثبيت قريش أصنامهم بالرصاص

يقول الكاتب عن سبب تثبيت أهل مكة أصنامهم بالرصاص " أقاموا الحراس حول البيت آناء الليل، فقاموا حذرين أيقاظًا ينتظرون، ولكن انتظارهم لم يطل وإنما هو انتصاف الليل وتقدمه بعد ذلك شيئًا، وإذا بضجيج يسمع، وأصوات تقرع الآذان . وينظر الحراس فيرون ، ويا هول ما يرون! الآلهة وقد صرعوا حول البيت تصريعًا، فيفرون وقد ملكهم الخوف واستأثر بهم الفزع " (١)

ويقيم أهل مكة الأصنام مكانها ثم يتكرر هذا الأمر عدة مرات وأخيراً يقترح عليهم باخوم وهو قس روماني " شدوا آلهتكم إلى أماكنها بأسباب من الرصاص "

قال الوليد بن المغيرة : " هو ذاك "

والغريب أن أصنام قريش ثبتت في أماكنها واستقرت في مواضعها بعد هذه الحيلة، وعجزت عن أن تخلص من قيودها الرصاصية تلك، فلم ترها قريش بعد ذلك إلا قائمة مكانها، حتى كان يوم من الأيام رأتها فيه وقد حطمت تحطيمًا. " (٢)

بعد أن انتحل الكاتب هذه الأسطورة حول تثبيت أصنام الكعبة بالرصاص قال: " قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الرّوَايَةِ فِي إسْنَادٍ لَهُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزّهْرِيّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ دَخَلَ رَسُولُ ﷺ مَكّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَطَافَ عَلَيْهَا وَحَوْلَ الْبَيْتِ أَصْنَامٌ مَشْدُودَةٌ بِالرّصَاصِ فَجَعَلَ النّبِيّ ﷺ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ إلَى الأَصْنَامِ وَيَقُولُ ﴿ جَاءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسْرَاءِ : ٨١] فَمَا أَشَارَ إلَى صَنَمٍ مِنْهَا فِي وَجْهِهِ إلا وَقَعَ لِقَفَاهُ وَلا أَشَارَ إلَى قَفَاهُ إلّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ حَتّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إلا وَقَعَ فَقَالَ تَمِيمُ بْنُ أَسَدٍ الْخُزَاعِيّ فِي ذَلِكَ :

---

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٧٣ .

(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٧٦ .

وَفِي الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ ... لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوْ الْعِقَابَا " [1]

وهذه الرواية عن ابن هشام صحيحة جاء ما يؤكدها في الصحيحين دون ذكر موضوع الرصاص فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ " [البخاري]

وروى مسلم عن أبي هريرة " أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ قَالَ فَأَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ قَالَ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ وَيَقُولُ ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ " .

يقول الكاتب : " قال ابن سعد " أخبرنا علي بن محمد عن سعيد بن خالد وغيره عن صالح بن كيسان : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ظُلْمَةً غَشِيَتْ مَكَّةَ ، حَتَّى مَا أَرَى جَبَلا وَلا سَهْلا ، ثُمَّ رَأَيْتُ نُورًا خَرَجَ مِنْ زَمْزَمَ مِثْلَ ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ ، كُلَّمَا ارْتَفَعَ عَظُمَ وَسَطَعَ حَتَّى ارْتَفَعَ ، فَأَضَاءَ لِي أَوَّلَ مَا أَضَاءَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ عَظُمَ الضَّوْءُ ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْ سَهْلٍ وَلا جَبَلٍ إِلا وَأَنَا أَرَاهُ ، ثُمَّ سَطَعَ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ انْحَدَرَ ، حَتَّى أَضَاءَ لِي نَخْلَ يَثْرِبَ فِيهَا الْبُسْرُ ، وَسَمِعْتُ قَائِلا ، يَقُولُ فِي الضَّوْءِ : سُبْحَانَهُ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ ، وَهَلَكَ ابْنُ مَارِدٍ بِهَضَبَةِ الْحَصَا بَيْنَ أَذْرُحٍ وَالأَكَمَةِ ، سُعِدَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ ، جَاءَ نَبِيُّ الأُمِّيِّينَ ، وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، كَذَّبَتْهُ هَذِهِ الْقَرْيَةُ ، تُعَذَّبُ مَرَّتَيْنِ ، تَتُوبُ فِي الثَّالِثَةِ ، ثَلاثٌ بَقِيَتْ ، ثِنْتَانِ بِالْمَشْرِقِ ، وَوَاحِدَةٌ بِالْمَغْرِبِ فَقَصَّهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى أَخِيهِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا ، وَإِنِّي لأَرَى هَذَا أَمْرًا يَكُونُ فِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِذْ رَأَيْتُ النُّورَ خَرَجَ مِنْ زَمْزَمَ ." [حديث موقوف غير صحيح فيه أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ الذي قال عنه أبو حاتم الرازي : ضعيف الحديث، متروك الحديث، وقال فيه الذهبي : حديثه فيه لين]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٧٦ .

حج النبي قبل البعثة

قال كاتب : " قال الوليد بن المغيرة : " لكن قومك يختصمون في الأمين وفي أمر أقدم عليه في الموسم الماضي، وهم يخشون أن يعود إليه في الموسم المقبل ."

قال عمرو بن هشام : " وما ذاك ؟ "

قال الوليد : " ألست تذكر أن محمداً غيَّر من عادات قريش في الحج ما يقدر أحد على تغييره ، فحجَّ كما يحج العرب لا كما يحج أهل الحرم ؟ "

قال عمرو بن هشام وهو يبتسم ويهز رأسه : " لا أذكر من ذلك شيئًا "

قال الوليد : " ما أنت وذاك يا بن أخي ! إن لك في مرح الشباب وأقداح نسطاس عن ذلك لشغلًا . ولكنك تعلم على أقل تقدير أن أهل الحرم لا يخرجون منه إذا أرادوا الحج، فهم لا يفيضون من عرفة ولا يأتون منًى ولا غيرها من المشاعر خارج الحرم، إنما يتركون ذلك لسائر العرب فضيلة لهم على الناس جميعًا . "

قال عمرو بن هشام : " فضيلة خصوا بها أنفسهم ولم تخصهم بها الآلهة، وأقرت لهم بها العرب ضعفًا وعجزًا "

قال الوليد : " هذا أول الشر .فأنت إذًا لا تنكر على الأمين خروجه من الحرم وإفاضته مع الناس من حيث يفيضون، وسيرته في الحج كسيرة رجل من العرب لا من قريش ؟ "

قال عمرو بن هشام : " لا أنكر عليه شيئًا ولا أقره على شيء ولا أعُنى من ذلك كله بكثير ولا قليل، ولو قد عُنيت من ذلك بشيء لسلكت فيه طريق الأمين، ولأعنته وجاهدت معه، حتى نرد قريشًا إلى السنة الأول ونلغي هذه البدعة التي ابتدعتها والتي لم نرثها عن آبائنا؛ لا لأني أحفل بقديم أو جديد، ولا لأني آبه لسنة أو بدعة، ولكن لأني أرحم هؤلاء العرب الذين تكلفونهم ما لا يطيقون، وتحملونهم ما لا يستطيعون له احتمالا إيثارًا لأنفسكم بالخير " [1]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٠٢ .

قول الكاتب إن قريشاً ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسَمّون الحُمْس (جمع أحْمُس ، وهم قريش ، وأصلها : الشجاعة والشدة.)، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فقد صحت الأحاديث في هذا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [متفق عليه]

أما عن حج النبي قبل البعثة ، وكم مرة حجَّ ؟ وكيفية هذا الحج ؟ وهل حجَّ كما يحج العرب فوقف بعرفة أم أنه حج كما تحج قريش فوقف بالمزدلفة ؟

فهذا لم يرد فيه أي نص : قرآن كريم ، حديث شريف ، قول صحابي وكل ما ذكره العلماء في هذا الشأن ما هو إلا بعض الاجتهادات البشرية والآراء الظنية والاستنتاجات العقلية .

وعليه فإننا لا نتكلف ولا نرجم بالغيب ونتَّبع في أمور الدين لا نبتدع فيها ونكتفي بقول الله تعالى والصحيح من السنة . والإجماع على أن النبي ﷺ حجَّ حجة واحدة بعد الهجرة ، وهي حجة الوداع ، واختلف هل حجَّ بعد البعثة وقبل الهجرة أم لا ، أما كيفية حجة الوداع فمعروفة وقد وقف فيها بعرفات كما أمره الله تعالى يقول ابن القيم : " لا خلاف أنَّه ﷺ لم يَحُجَّ بعد هجرته إلى المدينة سِوى حَجَّةٍ واحدة، وهى حَجة الوَداع، ولا خلاف أنها كانت سنةَ عشر.

واختُلِفَ: هل حجَّ قبل الهجرة ؟ فروى الترمذى، عن جابر بن عبد الله ، قال: "حجَّ النبى ﷺ ثلاثَ حِجج، حَجَّتَيْن قبل أن يُهاجر، وحَجَّة بعد ما هاجر معها عُمْرة". قال الترمذى: هذا حديث غريب من حديث سفيان. قال: وسألتُ محمداً يعنى البخارى عن هذا، فلم يعرفه من حديث الثورى، وفى رواية: لا يُعدُّ الحديث محفوظاً.

ولما نزل فرضُ الحج. بادر رسول الله ﷺ إلى الحجِّ من غير تأخير " [1]

([1]) ابن قيم الجوزية " زاد الميعاد " ج ٢ ص ١٠١

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أمر الله تعالى الواقف بعرفات أن يَدْفَع إلى المزدلفة، ليذكر الله عند المشعر الحرام، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات، كما كان جمهور الناس يصنعون، يقفون بها إلا قريشًا، فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم، فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحِل ويقولون: نحن أهل الله في بلدته، وقُطَّان بيته.

وقال البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [1]

ولا خلاف يذكر بين المفسرين عما قاله ابن كثير .

والحديث واضح لا يحتاج لبيان في كيفية حج العرب وقريش قبل الإسلام وأمر الله لنبيه والمسلمين .

أما قول طه حسين على لسان الوليد ابن المغيرة ، وعمرو ابن هشام أن النبي كان يحج ويقف بعرفات كما يقف العرب ولا يتبع سنة قريش في ذلك ، وأن سادة قريش (الوليد وعمرو بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف) قد أغضبهم ذلك وتشاوروا فيه فهذا إدعاء لا ليل عليه .

ورقة ونسطاس وحديث بدء الوحي

قال ورقة : " أتكتب يا نسطاس ؟ " قال نسطاس : " نعم " قال ورقة : " قال رسول ﷺجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ بِأَمْرِ اللّهِ تَعَالَى . قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَسَلّمَ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ قُلْت : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَغَتّنِي بِهِ حَتّى

([1]) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٦ .

ظَنَنْتُ أَنّهُ الْمَوْتُ ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ قُلْت : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْت أَنّهُ الْمَوْتُ ثُمّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ قُلْت : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنّهُ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ فَقُلْت : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إلا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي ، فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبّكَ الأَكْرَمُ الّذِي عَلّمَ بِالْقَلَمِ عَلّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قَالَ فَقَرَأْتهَا ثُمّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي ، فَكَأَنّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا . قَالَ فَخَرَجْتُ حَتّى إذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنْ الْجَبَلِ سَمِعْت صَوْتًا مِنْ السّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ قَالَ فَرَفَعْت رَأْسِي إلَى السّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ . قَالَ فَوَقَفْت أَنْظُرُ إلَيْهِ فَمَا أَتَقَدّمُ وَمَا أَتَأَخّرُ وَجَعَلْت أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السّمَاءِ قَالَ فَلا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إلا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتّى بَعَثَتْ خَدِيجَةُ رُسُلَهَا فِي طَلَبِي ، فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكّةَ وَرَجَعُوا إلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ ثُمّ انْصَرَفَ عَنّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إلَى أَهْلِي حَتّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْت إلَى فَخِذِهَا مُضِيفًا إلَيْهَا : فَقَالَتْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ ؟ فَوَاَللّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِك حَتّى بَلَغُوا مَكّةَ فَقَالَتْ أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمّ وَاثْبُتْ فَوَالّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إنّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيّ هَذِهِ الأُمّة ." [1]

ثمَّ قال الكاتب : " وإذا نسطاس يقول لصاحبه : " ما أحسن ما كوفئنا يا ورقة بعد شدة الجهد وطول الانتظار ! ولكن ممن سمعت حديثك هذا الذي حدثتني ؟ " قال ورقة وقد أشرق وجهه بشراً وابتهاجاً : " سمعت حديثي هذا من خديجة أول الأمر، فما أنكرت منه شيئًا وما شككت في أن هذا الملك الذي جاء محمدًا هو الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، فعرفت أن محمدًا لم يفجأ بلقاء الملك ولا بتلقي الوحي، وإنما هيئ لذلك شيئًا فشيئًا حتى أنكر نفسه وأساء بها الظن." [2]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٢٧٦ نقلا عن سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٧-٢٣٩ .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣١٠ .

وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً ، لا يصح سنداً لأن هذا الحديث لم يروه إلا ابن إسحاق مرسلاً عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، وعبيد لم تثبت له صحبة، بل هو من كبار التابعين وعليه يكون الحديث مرسلاً ، ولا يحتج بالحديث المرسل في الفروع فضلاً عن الأصول يقول الألباني : " أن الحديث المرسل ولو كان المرسل ثقة لا يحتج به عند أئمة الحديث كما بينه ابن الصلاح في " علوم الحديث " وجزم هو به فقال (ص ٥٨) : ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ... وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الأثر وقد تداولوه في تصانيفهم الأمر الثاني: معرفة سبب عدم احتجاج المحدثيين بالمرسل من الحديث فاعلم أن سبب ذلك إنما هو جهالة الوساطة التي روى عنها المرسل الحديث وقد بين ذلك الخطيب البغدادي في " الكفاية في علم الرواية " حيث قال (ص ٢٨٧) بعد أن حكى الخلاف بالعمل المرسل : والذي نختاره سقوط فرض العمل بالمراسيل وأن المرسل غير مقبول والذي يدل على ذلك أن إرسال الحديث يؤدي إلى الجهل بعين راويه ويستحيل العلم بعدالته مع الجهل بعينه وقد بينا من قبل أنه لا يجوز قبول الخبر إلا ممن عرفت عدالته " [1]

الفرق بين روايتي ابن إسحاق والبخاري في بدء الوحي

لقد جعل المحدثون الحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف كما هو معلوم إلا أن يكون مرسل الصحابي فهو حجة ، لأنه يغلب على الظن أنه تلقاه عن صحابي مثله ، وهذا مرسل تابعي وليس صحابي ، وعليه فحديث ابن إسحاق غير صحيح سنداً كما أن متنه منكر ، عندي ، لمخالفته الأحاديث الصحيحة بل المتفق عليها فهذا الحديث يخالف الحديث المتفق الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن السيدة عائشة، والذي سبق ذكره ، في أمور مهمة منها :

([1]) ناصر الدين الألباني " نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق " المكتب الإسلامي – بيروت ص ٤٢

١- حديث ابن إسحاق يذكر أن النبي كان يأخذ أهله معه في الغار ولا يستثنى من ذلك إلا هذه المرة " خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجِوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ حَتّى إِذَا كَانَتْ اللّيْلَةُ الّتِي أَكْرَمَهُ اللّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِه " والحديث المتفق عليه يخالف هذا " ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقّ " .

وحديث ابن إسحاق يصرح أن كل ما جرى بين سيدنا جبريل والنبيﷺ كان في المنام وليس في اليقظة " قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ ... فَانْصَرَفَ عَنّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي " وهذا يخالف صراحة ما جاء في الحديث المتفق عليه من أنه كان في اليقظة لا شك في ذلك " وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّك ... ﴾ وفرق كبير بين ما يراه الإنسان في المنام وما يحدث له في اليقظة خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمر غيبي وبرسالة سماوية هي الخاتمة .

وما أهمية أن يذكر في حديث ابن إسحاق " فَغَتّنِي بِهِ حَتّى ظَنَنْت أَنّهُ الْمَوْتُ ثُمّ أَرْسَلَنِي " ما دام الأمر في المنام والذي يؤكد أن ما رآه النبي ﷺ كان في اليقظة هو ضم جبريل النبي ﷺ وعصره ؛ فما أهمية هذا العصر الشديد الذي كاد يودي بحياة النبي ﷺ إن كان ذلك في المنام وليس في اليقظ والحقيقة إن هذا العصر إنما تنبيهاً لعقل النبي وشحذاً لإدراكه بأن ما يسمعه ويحس به ليس حلماً رآه في منام ولا وهماً اختلقه خيال ، ولا سوسة من نزغ شيطان إنما هو حقيقة مدركة وإدراك حقيقي . وعت أذن النبي ما سمعت وحفظ قلبه ما نزل عليه ولكنه لم يعرف تفسير ما حدث وتبعات ما استُحفِظ من وحي لعدم معرفته بأمر الرسل والرسالات حتى فسَّره له ورقة وبشَّره بالنبوة .

٣- ذكر حديث ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قد عرَّف جبريل بالاسم وأن جبريل قد أتاه بكتاب من حرير مكتوب فيه الآيات الأولى من سورة العلق " قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ اقْرَأْ " والحديث المتفق عليه لا يذكر شيئاً عن هذا الكتاب " فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ " وكيف يأتي جبريل للنبي ﷺ بكتاب ليقرأه وهو يعلم تام العلم بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب يقول تعالى :﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أي : أنت أيها الرسول الكريم ما كنت في يوم من الأيام قبل أن ننزل عليك هذا القرآن – تالياً لكتاب من الكتب ، ولا عارفاً للكتابة ، ولو كنت ممن يعرف القراءة والكتابة ، لارتاب المبطلون في شأنك ، ولقالوا إنك نقلت هذا القرآن بخطك من كتب السابقين .

وكيف يأتي له هذه المرة بكتاب ليقرأه وهذا ما لم يفعله طوال سنوات الوحي التي امتدت لنحو ثلاثة وعشرين عاماً !!

فإن قال قائل وكيف تفهم طلب جبريل من النبي ﷺ أن يقرأ وليس هناك مقروء يقرؤه لقد طلب جبريلُ من النبيّ ﷺ القراءة ثلاثة مع علمه بعدم معرفته بها وذلك ليبين للناس عدم معرفة النبي القراءة وعدم اطلاعه على الكتب السماوية السابقة ، هذا عن أمر جبريل الأول اقرأ ؟ والأمر الثاني لبيان أن ما يوحى إلي النبي مُنَزَّل كله من عند الله وليس علماً تعلمه من بشر ردّاً على ما سيقوله بعض الكفار بعد ذلك {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل:١٠٣] أما اقرأ الثالثة فمعناها اتل وتدبَّر ما أقرأه عليك؟ لذا كان جواب النبي عليه في المرة الثالثة ليس لنفي معرفته للقراءة ولا لنفي تحصيله علم من بشر إنما للاستفهام عن المطلوب قراءته وكيفية قراءته .

٤- ذكر حديث ابن إسحاق أن جبريل أخبر النبي ﷺ صراحة أنه نبي وأنه جبريل رسول الله إليه " قَالَ فَخَرَجْتُ حَتّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنْ الْجَبَلِ سَمِعْت صَوْتًا مِنْ السّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ " ولم يذكر الحديث المتفق عليه شيئاً

من هذا ولو كان هذا قد حدث فما سر خوف النبي ﷺ الشديد الذي انتابه وسر قوله لقد خشيت على نفسي " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي " ولماذا أخذته السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة ليفسر له ما رآه وهو يعلم تفسيره ؟!

٥- حديث ابن إسحاق يذكر أن السيدة خديجة بشَّرت سيدنا محمد بالنبوة بعد عودته من الغار وقبل أن يحكي لها ما رأى " فَقَالَتْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ ؟ فَوَاللّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِك حَتّى بَلَغُوا مَكّةَ فَقَالَتْ أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمّ وَاثْبُتْ فَوَالّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إنّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيّ هَذِهِ الأُمّة " فمن أدرى السيدة خديجة بما جرى للنبي ﷺ ولماذا أرسلت في البحث عنه في تلك الليلة بالذات وكيف تبشره بالنبوة وقد أثبتنا أن أحداً من مكة لم يكن يعلم نبوة محمد ﷺ قبل بعثته ؟ وكل هذه الغرائب تخالف ما جاء في الحديث المتفق عليه من طمأنة السيدة خديجة للنبي ﷺ بعدما جاء من الغار خائفاً مضطرباً وذكرته بحسن خلقة وحسن معاملته الناس ولذا فلن يخزيه الله أبداً " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " .

٦- في حديث ابن إسحاق الموقوف الضعيف أن السيدة خديجة تذهب إلى ورقة وحدها وتخبره بما سمعت من النبي ﷺ فيبشرها بنبوة النبي وطلب منها أن تخبرته بأن يثبت ، أما في الحديث المتفق عليه فإن السيدة خديجة أخذت النبي ﷺ إلى ورقة ويبين لماذا أخذته لورقة بالذات دون غيره من أهل مكة وطلبت من ورقة أن يسمع من النبي ما رأى " فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ

خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمٍّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى " .

٧- يذكر حديث ابن إسحاق أن ورقة قد قابل النبي ﷺ بعد ذلك وهو يطوف بالكعبة وسمع منه وبشره بالنبوة وقبَّل رأسه ، ولم يذكر الحديث المتفق عليه شيئاً عن هذه المقابلة .

ومن هذه المقارنة يتضح لنا جلياً أن حديث ابن إسحاق الموقوف لا يصح سنداً ولا متناً ولا عقلاً بل يخالف الحديث المتفق عليه وما أجمعت عليه الأمة ، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يترك الكاتب الحديث الصحيح المشهور الذي تجمع عليه الأمة ويذكر الحديث الموقوف الضعيف ؟!!

نحن لا نريد أن نتَّهم الكاتب في دينه ، وإن اتهمه كثير من الناس بالإحاد وفساد العقيدة ، فالعقيدة سر بين العبد وربه ولكن في الوقت نفسه لا نستطيع أن نفسر ما فعل الكاتب إلا أنه يريد أن يخلط في كتابه الصحيح بغير الصحيح والحقيقي بالأسطوري والحق بالباطل ليحول السيرة النبوية من سيرة رسول مرسل من الله لهداية البشر إلى أسطورة من أساطير اليونان لتسلية الناس ومتعتهم كما صرَّح هو بذلك في مقدمة الكتاب .

دلائل النبوة قبل بعثة النبي

يقول الكتاب على لسان ورقة عن الفترة التي سبقت نزول الوحي: " وكان أول أمره من ذلك أن صدقته أحلام الليل صدقًا لم يألفه الناس ولم يألفه هو فيما مضى من دهره، فكان لا يرى رؤيا إلا صدقت وصحت وتحققت كأنها فلق الصبح، حتى كاد النوم يكون آثر عنده وأحب إليه من اليقظة .ثم أحس حب الخلوة والحاجة إليها، فكان لا يلم بمكة إلا قليلا، ثم يخرج منها فيمضي أمامه في شعاب الجبال مستأنسًا بهذه الوحشة مطمئنًّا إلى هذه الوحدة .ولكن خلوته هذه لم تلبث أن رابته وأثارت في نفسه الظنون، أو قل لم تلبث أن فارقته، وإذا هو لا يخلص لنفسه ولا تخلص له نفسه ساعة من نهار أو ساعة

من ليل، وإذا الفرق بين الليل والنهار قد ألغي بالقياس إليه إلغاء، فهو لا يرى إلا نورًا يأخذه من كل وجه سواء أكانت الشمس مشرقة أم كان الليل مظلمًا مُدْلَهِمًّا، فقد الظلمة فقدانًا تامًّا، ثم فقد السكون والصمت فقدانًا تامًّا؛ فكان لا يمشي إلا سمع الأصوات تناجيه أحسن النجوى، وتحدثه أعذب الحديث وتحييه أكرم التحية، يسمع ذلك من الأشجار، ويسمع ذلك من الأحجار، ويسمع ذلك من حصباء الأرض، ويسمع ذلك من نسيم الجو، حتى أنكر نفسه أشد الإنكار، وحتى أقبل ذات يوم على خديجة مدلهًا مولهًا مذعورًا يقول: تعلمين يا خديجة أني والله ما أبغضت شيئًا كما أبغض هذه الأوثان التي تعكف عليها العرب، وما كرهت شيئًا كما أكره ما ألف العرب من الكهانة، وإني مع ذلك لأجد أشياء أنكرها، وأخشى أن يلم بي لممٌ أو أن أصير إلى الكهانة .تقول له خديجة : لا بأس عليك! أنت أكرم على ربك وآثر عنده من أن يصنع بك هذا .إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث . وتصنع المعروف، حتى كان ذلك اليوم الذي نبئ فيه " [1]

وقول الكاتب عن النبي أنه كان لا يرى رؤيا إلا صدقت وصحت وتحققت كأنها فلق الصبح فهذا حق وقد ثبت في حديث عائشة المتفق عليه .

إلغاء الفرق بين الليل والنهار

ذكر الكاتب أن من بين دلائل النبوة قبل بعثة النبي " وإذا الفرق بين الليل والنهار قد ألغي بالقياس إليه إلغاء، فهو لا يرى إلا نورًا يأخذه من كل وجه سواء أكانت الشمس مشرقة أم كان الليل مظلمًا مُدْلَهِمًّا، فقد الظلمة فقدانًا تامًّا، ثم فقد السكون والصمت فقدانًا تامًّا؛ فكان لا يمشي إلا سمع الأصوات تناجيه أحسن النجوى، وتحدثه أعذب الحديث وتحييه أكرم التحية، يسمع ذلك من الأشجار، ويسمع ذلك من الأحجار، ويسمع ذلك من حصباء الأرض، ويسمع ذلك من نسيم الجو، حتى أنكر نفسه أشد الإنكار " فهذا من أساطير الكاتب التي ينتحلها على النبي دون سند صحيح أو حتى

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣١٠ .

ضعيف إذ كيف يُلغى الفرق بين الليل والنهار بالنسبة للنبي فلا يرى إل نوراً !! وكيف يفقد الصمت والسكون فقداناً تاماً ويسمع جميع الكائنات تناجيه وتحدثه وتحييه !!

سماع النبي الأشجار والأحجار وحصباء الأرض

أما ذكر الكاتب أن النبي ﷺ قبل البعثة كان يسمع الأشجار والأحجار وحصباء الأرض تحييه وتناجيه فقد جاء في الحديث الذي رواه ابْنُ إسْحَاقَ عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلاءِ ابْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيّ ، وَكَانَ وَاعِيَةً عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللّهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ كَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تُحْسَرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إلَى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا ، فَلا يَمُرّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلا شَجَرٍ إلا قَالَ السّلامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلا يَرَى إلا الشّجَرَ وَالْحِجَارَةَ . فَمَكَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللّهِ وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ."

وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً ، لا يصح سنداً لأن أحداً من علماء الحديث لم يخرجه ولا ذكر في أي من كتب الحديث إنما رواه بعض أصحاب السير ، وهذا الحديث يقول عنه الإمام الذهبي في تعليقه في التلخيص : " لم يصح " يعني هذا الحديث .

كما أن هذا الحديث لا يصح متناً لأننا ذكرنا أن رسول الله لم يكن يعلم بأمر نبوته شيئاً قبل نزول جبريل فكيف تقول له الأحجار والأشجار قبل بعثته " السّلامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللّهِ " أما ما رواه ابن عساكر عن السيدة عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " لمَّا أُوحِيَ إليَّ أو نُبِئْتُ ، أو كلمةً نحوها جُعلتُ لا أَمُرُّ بحَجَرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ " فهذا فضلا عن أنه حديث ضعيف كما قال الألباني فإن هذا كان بعد بعثته ولكن عدم صحة حديث ابن إسحاق سنداً ولا متناً لا تنفي صحة تسليم حجر معين على النبي قبل بعثته أو ليالي بعثته دون ذكر " يا رسول الله " فعَنْ

جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ، وَإِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ " وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره ، وفي رواية الترمذي أن ذلك لم يكن قبل بعثته إنما ليالي بعثته " إِنَّ بِمَكَّةَ حَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِيَ بُعِثْتُ إِنِّى لأَعْرِفُهُ الآنَ " [صححه الألباني] كذلك ورد تسليم الأحجار والأشجار له بعد بعثته في بعض الروايات الضعيفة فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ " [رواه الترمذي وضعفه الألباني] وهناك من صحح بعض روايات تسليم الحجر والشجر للنبي ﷺ بعد بعثته ، ونحن لا ننكر حديث بعض الجمادات بين يدي النبي ﷺ بعد بعثته مثل حنين الجزع . والحقيقة أن معظم ما يروى حول حديث الجمادات بين يدي النبي ﷺ كالحصى والطعام لا يصح .

إيمان ورقة بالنبي ووعده بنصرته

يقول الكاتب على لسان ورقة : " ألسنا نقرأ في كتبنا أن قومه سيكذبونه وسيؤذونه وسيخرجونه وسيقاتلونه ؟! " قال نسطاس : " بلي " قال ورقة : " فقد تحدثت إليه ببعض ذلك ، أو لسنا نقرأ في كتبنا أن علينا نصره وتأييده ما وسعنا النصر والتأييد ؟ " قال نسطاس : " بلى" قال ورقة : " فقد وعدته بذلك ولكن أنى لي بهذا الفضل وإنما أنا هامة [1] اليوم أو غداً " [2]

وما ذكره الكتاب على لسان ورقة صحيحاً جاء به حديث عائشة المتفق عليه " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " وجاء به القرآن الكريم فيما يتعلق بأخذ الله تعالى العهد على أهل الكتاب لينصرن النبي عند

([1]) الْهَامَةُ : طائرٌ يزعم العرب أنه يخرج من هامة (رأس) القتيل ويقول : اسقُوني اسقُوني ، حتَّى يُؤخذَ بثأْرِ ، ولا معنى لهذه الكلمة في هذا السياق وكان الأفضل يذكر الكاتب كلمة " ميت " فلم يكن أهل الكتاب يعتقدون وورقة أحدهم بما تزعمه العرب عن الطائر الذي يخرج من رأس القتيل .

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣١١ .

بعثه فهذا صحيح ذكره القرآن الكريم ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]

جهر النبي بالدعوة وإيذاء أبي لهب له

يقول الكاتب : " وفي ذات يوم امتلأت مكة بحديث كان له في قلوب الناس جميعًا وقع غريب؛ فقد تحدثوا أن رسول الله خرج من صمته ودعا إليه أشراف قريش، فلما اجتمعوا إليه عرض عليهم دينًا جديدًا فيه التوحيد، ووعدهم إن سمعوا له واستجابوا لدعوته أن يكون لهم شرف الدنيا والآخرة، وأنذرهم إن أبوا عليه وأعرضوا عن دعوته أن يستقبلوا عذابًا مبينًا مهينًا يلقون صدرًا منه في حياتهم الأولى، ثم يخلدون فيه بعد الموت إلى غير غاية ولا أمد . وتحدثت قريش بأن عمه أبا لهب كان أول من رد عليه فكذبه وآذاه ، وتفرق الناس عنه ولم يقل له أحد غير عمه شيئًا. " [1]

ما ذكره الكاتب عن النبي يوم جهر بالدعوة إجمالاً صحيح جاءت به الأحاديث الصحاح فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إِلَى آخِرِهَا " [البخاري]

وعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِىِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسُوقِ ذِى الْمَجَازِ وَأَنَا فِى بِيَاعَةٍ لِى فَمَرَّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا ». وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تُطِيعُوا هَذَا فَإِنَّهُ كَذَّابٌ. فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ : هَذَا غُلاَمٌ مِنْ بَنِى عَبْدِ

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٢٧ .

الْمُطَّلِبِ فَقُلْتُ : فَمَنْ هَذَاالَّذِى يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قِيلَ : عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " [صحيح البيهقي وابن خزيمة]

وعن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ عِبَادٍ الدِّيلِيَّ ، قَالَ: إِنِّي لَمَعَ أَبِي ، رَجُلٌ شَابٌّ ، أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِﷺ يَتْبَعُ الْقَبَائِلَ ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ ، وَضِيءٌ ، ذُو جُمَّةٍ ، يَقِفُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْقَبِيلَةِ ، فَيَقُولُ : يَا بَنِي فُلاَنٍ ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي حَتَّى أُنْفِذَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ ، فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ ، قَالَ الآخَرُ مِنْ خَلْفِهِ : يَا بَنِي فُلاَنٍ ، إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللاَّتَ وَالْعُزَّى ، وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْحَيِّ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلاَلَةِ ، فَلاَ تَسْمَعُوا لَهُ وَلاَ تَتَّبِعُوهُ ، فَقُلْتُ لأَبِي : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ." [حديث حسن رواه أحمد]

قريش تساوم النبي على دعوته

يقول الكاتب : " ثم اجتمع الملأ من قريش فدعوا رسول الله إليهم، فلما جاءهم قالوا له فأكثروا القول، عرضوا عليه المال فرد عليهم المال، وعرضوا عليه الشرف والسيادة فرد عليهم الشرف والسيادة، وعرضوا عليه الملك والسلطان فرد عليهم الملك والسلطان، وعرضوا عليه الطب إن كان مريضًا فرد عليهم الطب وقال : ما أنا بمريض . ثم قال لهم رسول الله فدعاهم إلى الله، وحبب إليهم الخير، وزين لهم البر، وبين لهم أن آلهتهم لا تغني عنهم من الله شيئًا، ووعدهم شرف الدنيا والآخرة إن صدقوه، وأنذرهم خزي الدنيا والآخرة إن كذبوه، فتفرقوا عنه ولم يظفروا منه بشيء، ولم يظفر منهم بشيء، ولكنهم انصرفوا عنه وفي قلوبهم من الخوف والفرق ما لا يكادون يخفونه، وانصرف عنهم وفي نفسه من الثقة واليقين ما يملأ قلبه إيمانًا وتثبيتًا . " [1]

وهذا الذي ذكره الكاتب مجملاً رواه ابن إسحق مفصلاً : " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ ، قَالَ حُدّثْت أَنّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ،

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٢٨ .

وَكَانَ سَيِّدًا ، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلا أَقُومُ إِلَى مُحَمّدٍ فَأُكَلّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيّهَا شَاءَ وَيَكُفّ عَنّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ قُمْ إِلَيْهِ فَكَلّمْهُ فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النّسَبِ وَإِنّك قَدْ أَتَيْت قَوْمَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنّي أَعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا . قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَالا جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا ، حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك ، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك ، طَلَبْنَا لَك الطّبّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ . حَتّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللّه ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاسْمَعْ مِنّي ؛ قَالَ أَفْعَلُ فَقَالَ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ﴿ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ كِتَابٌ فُصّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنّةٍ مِمّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّه ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ اللّه ﷺ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمّ قَالَ قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْت وَذَاكَ فَقَامَ عُتْبَةُ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ . فَلَمّا جَلَسَ إلَيْهِمْ قَالُوا : مَا وَرَاءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ وَرَائِي أَنّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاَللّهِ مَا سَمِعْت مِثْلَهُ قَطّ ، وَاَللّهِ مَا هُوَ بِالشّعْرِ وَلا بِالسّحْرِ وَلا بِالْكِهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي ،وَخَلّوا بَيْنَ هَذَا الرّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ فَوَاَللّهِ لَيَكُونَنّ لِقَوْلِهِ الّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزّهُ عِزّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النّاسِ بِهِ قَالُوا : سَحَرَك وَاَللّهِ

يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ قَالَ هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ ." [رواه ابن إسحاق وحسنه الألباني]

بلال بن رباح

يقول الكاتب على لسان أمية ابن خلف مخاطباً أبا جهل : " إن كنت لصادقًا يا أبا الحكم في كل ما خوفتنا من محمد وما صورت لنا من أمره . "

قال عمرو وهو يبتسم : " وما ذاك يا أبا علي ؟ " قال أمية : " لقد دخل بيتي من محمد شر ؟." قال عمرو وهو يضحك : " أو أصابك الغيث ؟ " قال : " نعم ! هذا عبد من عبيدي بلال بن رباح تَبِعَ محمدًا، فهو يصلي كما يصلي محمد، ويدعو بدعوته ويعتل عليَّ فيما لم يكن يعتل عليَّ في مثله من قبل، ويوشك أن يفسد عليَّ رقيقي كلهم إن استأنيت به . "

قال عمرو : " ولم تستأني به ؟ " قال أمية : " إنها الرحمة والبقيا يا أبا الحكم، فما تعودت قتل الرقيق . وإني لأرجو أن أستصلحه فيعود عليَّ منه نفع "

قال عمرو : " لا تقتله ولكن عذبه حتى يثوب إلى ما تحب، وحتى يكون مثلًا لغيره من غلمانك وإمائك ومواليك . "

ومنذ ذلك اليوم بدأت محنة بلال رحمه الله، فسامه أمية من العذاب ألوانًا وألوانًا، وكان يأتي به في اليوم القائظ وقد أجاعه وأظمأه حتى يكاد يهلك فيلقيه على الأرض قد قيدت وشدت يداه إلى ظهره، ويعمد إلى الحجر الضخم الثقيل فيضعه على صدره ويقول : لتهلكن أو لترفضن ما تابعت محمدًا عليه؛ فلا يزيد بلالٌ على أن يقول : " أحد! أحد ! " حتى مر أبو بكر رحمه الله بأمية ذات يوم وهو يصنع ببلال ذلك، فرق أبو بكر، وكان رقيقًا، ونهى أمية فلم ينتهِ، فاشترى بلالا وأعتقه .وسن أبو بكر رحمه الله هذه السنة ." [1]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

وما ذكره الكاتب عن تعذيب أمية بن خلف لبلال صحيح فروى البيهقي وابن ماجة والحاكم عن ابن مسعود قال : " إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلاَلٌ وَالْمِقْدَادُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِى طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَأَوْثَقُوهُمْ فِى الشَّمْسِ فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا غَيْرَ بِلاَلٍ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِى اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِى شِعَابِ مَكَّةَ وَجَعَلَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ."

[صححه الألباني والذهبي]

وكذلك صحَّ عتق أبي بكر بلالاً فأخرج الحكام في المستدرك عن عمر بن الخطاب قال : " قَالَ عُمَرُ : أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَل "

[صححه الحاكم والذهبي]

إسلام حمزة بن عبد المطلب

يقول الكاتب عن أبي جهل : " لقي محمدًا ذات يوم فأفحش له بالقول وآذاه في نفسه إيذاء شديدًا، وانصرف عنه رسول الله لم يقل له شيئًا؛ لأن الله قد أدبه بأن يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين . وشهدت ذلك مولاة لعبد الله بن جدعان، فأنبأت به حمزة بن عبد المطلب مرجعه من الصيد، فحمى حمزة لما سمع، ومضى إلى المسجد حتى غشي أبا جهل في ناد من أندية قريش فضربه بقوسه فشجَّه شجَّة فاحشة . وهمت مخزوم أن تغضب لفتاها، فيقول أبو جهل لقومه مستخذيًا : " دعوا أبا عمارة فقد أفحشت لابن أخيه " وينصرف حمزة من ساعته فيأتي ابن أخيه محمدًا فيسلم ويصبح أسد الله . " (١)

ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق قصة إسلام سيدنا حمزة فقال : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ ، كَانَ وَاعِيَةً أَنّ أَبَا جَهْلٍ مَرّ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ عِنْدَ الصّفَا ، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنْ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتّضْعِيفِ لأَمْرِهِ فَلَمْ يُكَلّمْهُ رَسُولُ اللّهِ

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٠ .

ﷺ وَمَوْلاةٌ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرّةَ فَعَمَدَ إلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ . فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ وَكَانَ إذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إلَى أَهْلِهِ حَتّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَكَانَ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إلّا وَقَفَ وَسَلّمَ وَتَحَدّثَ مَعَهُمْ وَكَانَ أَعَزّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ ، وَأَشَدّ شَكِيمَةً . فَلَمّا مَرّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ يَا أَبَا عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيك مُحَمّدٌ آنِفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَآذَاهُ وَسَبّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلّمْهُ مُحَمّدٌ ﷺ .

فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبُ لَمّا أَرَادَ اللّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ، مُعِدّا لأَبِي جَهْلٍ إذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتّى إذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجّهُ شَجّةً مُنْكَرَةً ثُمّ قَالَ أَتَشْتِمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ فَرُدّ ذَلِكَ عَلَيّ إنْ اسْتَطَعْت .

فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ فَإِنّي وَاَللّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبّا قَبِيحًا ، وَتَمّ حَمْزَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَلَى إسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ .

فَلَمّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَدْ عَزّ وَامْتَنَعَ وَأَنّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ فَكَفّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ " (١)

ذكر هذه القصة ابن إسحاق بسند ضعيف منقطع، ورواها الطبراني بسند صحيح مرسل .

إسلام عمر بن الخطاب

يقول الكاتب : " خرج ذات يوم متوشحًا سيفه يريد أن يبطش بمحمد نفسه؛ ولكنه يعلم في طريقه إلى محمد أن الإسلام قد دخل داره، وأن أخته قد أسلمت، فيعدل إلى

(١) سيرة بن هشام ج ١ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣"

أخته فيبطش بها حتى يسيل الدم من وجهها؛ ثم تأخذه الرحمة فيرق لأخته ويلطف لها حتى تقرئه بعض ما كان يتلى عندها من القرآن . فلا يكاد يقرؤه حتى يدخل الإيمان في قلبه، وإذا هو يسعى إلى محمد فيسلم " (١)

روى ابن هشام قصة إسلام عمر بن الخطاب عن ابن إسحاق قال : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَ إسْلامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنّ أُخْتَه فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطّابِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ النّحّامُ ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمَ ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا مِنْ قَوْمِهِ وَكَانَ خَبّابُ بْنُ الأَرَتّ يَخْتَلِفُ إلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَمَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَمّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصّدّيقُ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ مِمّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِمَكّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ أُرِيدُ مُحَمّدًا هَذَا الصّابِئَ الّذِي فَرّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفّهَ أَحْلَامَهَا ، وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبّ آلِهَتَهَا ، فَأَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ وَاَللّهِ لَقَدْ غَرّتْك نَفْسُك مِنْ نَفْسِك يَا عُمَرُ أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيك تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْت مُحَمّدًا أَفَلا تَرْجِعُ إلَى أَهْلِ بَيْتِك فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟ قَالَ . وَأَيّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ خَتَنُك وَابْنُ عَمّك سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأُخْتُك فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ ، فَقَدْ وَاَللّهِ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْك بِهِمَا ؛ قَالَ فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبّابُ بْنُ الأَرَتّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا : ﴿طه﴾ يُقْرِئُهُمَا إيّاهَا ، فَلَمّا سَمِعُوا حِسّ عُمَرَ تَغَيّبْ خَبّابٌ فِي مِخْدَعٍ لَهُمْ أَوْ فِي

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٠ .

بَعْضِ الْبَيْتِ وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ الصّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبّابٍ عَلَيْهِمَا ، فَلَمّا دَخَلَ قَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الّتِي سَمِعْتُ ؟ قَالا لَهُ مَا سَمِعْتَ شَيْئًا ؛ قَالَ بَلَى وَاَللّهِ لَقَدْ أُخْبِرْت أَنّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ لَتَكُفّهُ عَنْ زَوْجِهَا ، فَضَرَبَهَا فَشَجّهَا ؛ فَلَمّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنّا بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك . فَلَمّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنْ الدّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَوى ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ أَعْطِينِي هَذِهِ الصّحِيفَةَ الّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا أَنْظُرْ مَا هَذَا الّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إنّا نَخْشَاك عَلَيْهَا ؛ قَالَ لَا تَخَافِي . وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدّنّهَا إذَا قَرَأَهَا إلَيْهَا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إسْلَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي ، إنّكَ نَجِسٌ عَلَى ﴿طه﴾ فَقَرَأَهَا ؛ فَلَمّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا ، قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ فَلَمّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبّابٌ خَرَجَ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا عُمَرُ وَاَللّهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللّهُ قَدْ خَصّك بِدَعْوَةِ نَبِيّهُ فَإِنّي سَمِعْته أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ أَيّدْ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ فَاَللّهَ اللّهَ يَا عُمَرُ . فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ فَدُلّنِي يَا خَبّابُ عَلَى مُحَمّدٍ حَتّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ فَقَالَ لَهُ خَبّابٌ هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصّفَا ، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشّحَهُ ثُمّ عَمَدَ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَلَمّا سَمِعُوا ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَآهُ مُتَوَشّحًا السّيْفَ فَرَجَعَ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ مُتَوَشّحًا السّيْفَ ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ : فَأْذَنْ لَهُ فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ائْذَنْ لَهُ فَأَذِنَ لَهُ الرّجُلُ وَنَهَضَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ فَأَخَذَ حُجْزَتَهُ أَوْ بِمِجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمّ جَبَذَهُ بِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً وَقَالَ مَا جَاءَ بِك يَا ابْنَ الْخَطّابِ ؟ فَوَاَللّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتّى يُنْزِلَ اللّهُ بِك قَارِعَةً ؟ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللّهِ جِئْتُك لِأُومِنَ بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ قَالَ فَكَبّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَنّ

عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ فَتَفَرّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ وَقَدْ عَزّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إسْلَامِ حَمْزَةَ وَعَرَفُوا أَنّهُمَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوّهِمْ. فَهَذَا حَدِيثُ الرّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ إسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ حِينَ أَسْلَمَ"(١) وهذه الرواية رغم شهرتها سندها ضعيف .

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا

ذكر الكاتب حوار شيوخ مكة مع أبي طالب بشأن دعوة النبي ﷺ فقال : " شيوخ قريش لم يسمعوا له (أي لأبي جهل) ، ونهضوا فمشوا إلى أبي طالب ومشى معهم أبو جهل لا لشيء إلا ليشهد إخفاقهم فيما يسعون إليه .وقد انتهى القوم إلى أبي طالب، فقالوا له وسمعوا منه، وطلبوا إليه أن يدعوا محمدًا فيكلموه ففعل .وجاء محمد فسمع منهم ولم يقبل مما عرضوا عليه شيئًا .ثم دعاهم إلى الله، ووعدهم شرف الدنيا والآخرة إن صدقوه، وأنذرهم خزي الدنيا والآخرة إن كذبوه، وطلب إليهم أن يقولوها كلمة واحدة تدين لهم بها العرب والعجم.

قال أبو جهل " ما هي ؟ " نقولها والله وعشراً أمثالها " قال محمد : " تقولون لا إله إلا الله " فتفرق القوم وهم يقولون : " أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجابٌ " (٢)

وهذا الذي ذكره الكاتب صحيح فقد روى النسائي والترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم بسند صحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ قَالَ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ يَا عَمِّ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالُوا إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ قَالَ فَنَزَلَ فِيهِمْ

---

(1) سيرة بن هشام ج ١ص ٣٤٤- ٣٤٧

(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣١ .

الْقُرْآنُ ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ... إِلَى قَوْلِهِ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ .

أبو جهل يحاول قتل النبي

يقول الكاتب : " ثم غدت قريش إلى أنديتها لم يتخلف من أشرافها أحد لما شاع فيهم من وعيد أبي جهل .وغدا أبو جهل وقد أخذ حجرًا ضخمًا ثقيلًا، فجلس إلى قومه يتحدث وينتظر مقدم النبي . وأقبل رسول الله كعادته وطوف بالكعبة ثم قام يصلي، وقد جعل الكعبة بينه وبين الشام، وقام أبو جهل فاستدبره ومعه الحجر لا يكاد يحمله لثقله، حتى إذا سجد رسول الله دنا أبو جهل منه متباطئًا، ولكنه لم يكد يبلغه حتى عاد منهزمًا وسقط الحجر من يده والنبي ساجد لم يرفع رأسه من السجود . وتضاحكت قريش حين رأت أبا جهل يعود مهزومًا مدحورًا قد ظهر في وجهه الخزي والانكسار. فلما رأى منهم ذلك قال: " ويلكم ! قوموا إليه إن شئتم فاصنعوا به ما أردت أن أصنع، والله لتردن عنه كما رددت قالوا : " وماذا ردك أبا الحكم ؟ " قال : " رأيت والله بينه وبيني فحلًا ما رأيت مثل ولا مثل أنيابه قط .ولو أقدمت على ما كنت مقدمًا عليه لأكلني." وأنبئ رسول الله بالخبر فقال باسماً : " ذاك جبريل .ولو قد أقدم على ما كان يريد لأخذه " (١)

روى ابن اسحاق بسند منقطع واهٍ لا يصح قال : " حدثني شيخ من أهل مكة قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس " ثم روى قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ : فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ مُحَمّدًا قَدْ أَبَى إلّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنَا ، وَشَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَشَتْمِ آلِهَتَنَا ، وَإِنّي أُعَاهِدُ اللّهَ لَأَجْلِسَنّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ – أَوْ كَمَا قَالَ – فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مَا بَدَا لَهُمْ قَالُوا : وَاَللّهِ لَا نُسْلِمُك لِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَامْضِ لِمَا تُرِيدُ . فَلَمّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ثُمّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ وَغَدَا رَسُولُ

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٢ .

اللّهِ ﷺ كَمَا كَانَ يَغْدُو . وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَكّةَ وَقِبْلَتُهُ إلَى الشّامِ ، فَكَانَ إذَا صَلّى صَلّى بَيْنَ الرّكْنِ الْيَمَانِيّ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشّامِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلّي وَقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ فَجَلَسُوا فِي أَنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ فَلَمّا سَجَدَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، ثُمّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتّى إذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَزِمًا مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ مَرْعُوبًا قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتّى قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ . وَقَامَتْ إلَيْهِ رِجَالُ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ مَا لَك يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ قُمْتُ إلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ فَلَمّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مِنْ الْإِبِلِ لَا وَاَللّهِ مَا رَأَيْت مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا مِثْلَ قَصَرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطّ ، فَهَمّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَذُكِرَ لِي أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ لَوْ دَنَا لَأَخَذَه ." (١)

ولكن هناك حديث صحيح قريب من هذا المعنى رواه أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: " هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا " [صحيح مسلم]

إن أقل وصف يمكن أن يطلق على عدول الكاتب عن ذكر الأحاديث الصحيحة وعمده إلى ذكر الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة هو التقصير في البحث وهذا التقصير غير مقبول في أي بحث فما بالنا إذا كان هذا البحث ديني يتعرض لسيرة النبي ﷺ .

النبي يأخذ حق الأعرابي من أبي جهل

يقول الكاتب : " ذات يوم يدخل المسجد أعرابي، فيقف على بعض أنديتهم يستعين بهم على سيد من سادات قريش قد اشترى منه إبلا ثم التوى عليه بثمنها لا يؤديه إليه ،

(١) سيرة بن هشام ج ١ص ٢٩٩- ٣٠١

فإذا سئل الأعرابي عن هذا السيد من يكون قال : هو أبو الحكم عمرو بن هشام، فيتضاحك القوم ويقول بعضهم للأعرابي :أترى إلى هذا الرجل الوسيم الصبيح قد جلس من البيت غير بعيد ! إنه وحده الذي يستطيع أن ينصفك من عمرو بن هشام، فاذهب إليه فستجد منه عونًا وتأييدًا حتى ترضى .وكان هذا الرجل الوسيم الصبيح محمدًا رسول الله ، فيذهب إليه الأعرابي والقوم مغرقون في الضحك قد سخروا منه وخيل إليهم أنهم قد سخروا من رسول الله .وأقبل الأعرابي على محمد ﷺ فاستعانه واستنصفه . وينظر الملأ من قريش، فإذا محمد قد قام، وإذا هو يمضي والأعرابي يتبعه، فيقولون لأحدهم اتبعهما وعد إلينا من أمرهما بما يكون . ومضى محمد والأعرابي وراءه ورسول قريش يرقبهما من بعيد . حتى إذا بلغ محمد دار أبي جهل طرق الباب، فخرج إليه عمرو بن هشام ووجهه ممتقعٌ ما فيه قطرة دم . قال محمد : " أد إلى هذا الرجل حقه " قال أبو جهل : " نعم ! لا تبرح حتى يرضى " ودخل داره ثم عاد فأدى إلى الرجل ما له وانصرف راضيًا، فعاد إلى ندي قريش يثني عليهم ويقول : صنع الله لكم ! لقد أنصفني صاحبكم وما تركني حتى أدى أبو الحكم إليَّ حقي . فتعجب قريش ويقول بعضهم لبعض : إنه و الله الفحل الذي رآه أبو الحكم منذ حين . حتى إذا لقوا أبا جهل فيما بعد سألوه فينبئهم : " إنه الفحل كان يسعى بين يدي محمد، ولو قد التويت بحق هذا الأعرابي لما أنظرني " (١)

وهذه الرواية غير صحيحة رواها ابن هشام عن ابن إسحاق بسند ضعيف مرسل قال ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَدّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الثّقَفِيّ ، وَكَانَ وَاعِيَةً قَالَ قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إرَاشٍ – قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ إرَاشَةَ – بِإِبِلٍ لَهُ مَكّةَ ، فَابْتَاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ فَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا . فَأَقْبَلَ الإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدّينِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، فَإِنّي رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقّي ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِك الْمَجْلِسِ أَتَرَى ذَلِك الرّجُلَ الْجَالِسَ – لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُمْ يَهْزَءُونَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنْ الْعَدَاوَةِ – اذْهَبْ إلَيْهِ فَإِنّهُ يُؤَدّيك عَلَيْهِ.

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٣ .

فَأَقْبَلَ الإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللّهِ إنّ أَبَا الْحَكَمِ بْنَ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقّ لِي قِبَلَهُ وَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ وَقَدْ سَأَلْت هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدّينِي عَلَيْهِ يَأْخُذُ لِي حَقّي مِنْهُ فَأَشَارُوا لِي إلَيْك ، فَخُذْ لِي حَقّي مِنْهُ يَرْحَمُك اللّهُ قَالَ انْطَلِقْ إلَيْهِ وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَلَمّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا لِرَجُلٍ مِمّنْ مَعَهُمْ اتْبَعْهُ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ . قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتّى جَاءَهُ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ مُحَمّدٌ فَاخْرُجْ إلَيّ فَخَرَجَ إلَيْهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَائِحَةٍ قَدْ أُنْتُقِعَ لَوْنُهُ فَقَالَ أَعْطِ هَذَا الرّجُلَ حَقّهُ قَالَ نَعَمْ لَا تَبْرَحْ حَتّى أُعْطِيَهُ الّذِي لَهُ قَالَ فَدَخَلَ فَخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقّهِ فَدَفَعَهُ إلَيْهِ . قَالَ : ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ لِلإِرَاشِيّ الْحَقْ بِشَأْنِك ، فَأَقْبَلَ الإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ جَزَاهُ اللّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ وَاَللّهِ أَخَذَ لِي حَقّي قَالَ وَجَاءَ الرّجُلُ الّذِي بَعَثُوا مَعَهُ فَقَالُوا : وَيْحَك مَاذَا رَأَيْت ؟ قَالَ عَجَبًا مِنْ الْعَجَبِ وَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَخَرَجَ إلَيْهِ وَمَا مَعَهُ رُوحُهُ فَقَالَ لَهُ أَعْطِ هَذَا حَقّهُ فَقَالَ نَعَمْ لا تَبْرَحْ حَتّى أُخْرِجَ إلَيْهِ حَقّهُ فَدَخَلَ فَخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقّهِ فَأَعْطَاهُ إيّاهُ . قَالَ ثُمّ لَمْ يَلْبَثْ أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ فَقَالُوا لَهُ وَيْلَك مَا لَك ؟ وَاَللّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْت قَطّ قَالَ وَيْحَكُمْ وَاَللّهِ مَا هُوَ إلا أَنْ ضَرَبَ عَلَيّ بَابِي ، وَسَمِعْت صَوْتَهُ فَمُلِئْتُ رُعْبًا ، ثُمّ خَرَجْتُ إلَيْهِ وَإِنّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلا مِنْ الْإِبِلِ مَا رَأَيْت مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصَرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطّ ، وَاَللّهِ لَوْ أَبَيْتُ لأَكَلَنِي ." (١)

وهذه الرواية لم ترد في أيٍّ من كتب الحديث ، ولو صحَّت ما أهملوها ، وابن هشام وابن كثير اللذان روياها عن ابن إسحاق لم يصححوها .

حصار بني هاشم في شعب أبي طالب

يقول الكاتب : " وقد صارت قريش إلى ما أراد أبو جهل وحليفه أبو مرة (الشيطان) فاجتمع الملأ منهم وكتبوا صحيفتهم تلك يقطعون فيها رحم بني هاشم ويحظرون فيها على قريش أن يكون بينهم وبين بني هاشم بيع أو شراء أو صهر أو تواصل ما .وانحاز

(١) سيرة بن هشام ج ١ص ٣٨٩- ٣٩٠ ، ابن كثير عن ابن إسحاق في " البداية والنهاية " ج ٤ ص ١١٥ .

بنو هاشم مع أبي طالب إلى شعبهم فحصروا فيه، حتى اشتد عليهم الجهد وعظم عليهم البلاء، وحتى جاع صبيتهم فما ينامون الليل، ولكنهم مع ذلك صبروا للمحنة كرامًا واحتملوها أعزة شمًّا ...

ولكن أبا طالب يغدو ذات يوم فيدخل المسجد ويطوف بالبيت، ثم يقف على ناد من أنديتهم فيقول : " يا معشر قريش ! إن ابن أخي قد أنبأني بشيء سأنبئكم به، فإن كان قد صدقني فكفوا عما أنتم فيه من ظلمنا وقطيعتنا، وإن كان قد كذبني دفعته .إليكم فقتلتموه وعادت العافية إلى قريش "

قالوا : " أنصفتنا والله يا أبا طالب . فبماذا أنبأك ابن أخيك ؟ "

قال : " أنبأني بأن صحيفتكم تلك التي تعاهدتم فيها على ظلمنا وقطيعتنا وعلقتموها في جوف الكعبة قد عدت عليها الأرصفة فمحت كل شيء فيها إلا اسم الله ، فاعمدوا إلى صحيفتكم هذه فانظروا فيها " وعمدت قريش إلى الصحيفة وهي لا تشك في أن أبا طالب قد غر عن نفسه .ولكن القوم ينظرون إلى الصحيفة فإذا محمد لم يقل لعمه إلا الحق، وإذا الصحيفة قد محي كل شيء فيها إلا اسم الله فإنه لم يمسه سوء . فسقط في أيدي قريش، وأخذ الملأ يتلاومون على ما تعجلوا به من وعد أبي طالب بالنصفة وأخذ بعضهم مع ذلك يقول : " لا والله لا نكذب الشيخ ولا نخلفه وعدنا .

ولقد علمنا أن هذه الصحيفة كانت شؤمًا، لقد شلت يد كاتبها . ولا والله ما جرت علينا القطيعة إلا شرًّا .كيف نأكل ونشرب وننام وننعم بالطيبات، وإخواننا جياع قد بلغ بهم الضر كل مبلغ ؟! " (١)

قصة صحيفة قريش قصة شهيرة ذكرها أهل السير وللقصة أكثر من رواية فقد ذكرها ابن إسحاق في السيرة بلا إسناد، كما عند ابن هشام ١/ ٣٧٦ وغيره. وأسندها ابن سعد من وجوه متصلة ومرسلة "١/ ٢٣٢ ترتيب طبقاته" ، وأسندها البيهقي في

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

"الدلائل" من مرسلات الزهري ٢/ ٣١١. وأسندها أبو نعيم في "الدلائل"، من مرسلات عروة بن الزبير رقم ٢٠٥، ثم من كلام ابن إسحاق، ثم من حديث ابن عباس من طريق الواقدي، وفي بعض الروايات جميعها ما ليس في بعضها الآخر، وانظر "طبقات ابن سعد" ١/ ١٣٩، و"تاريخ الطبري" ٢/ ٣٣٥، و"البداية" ٣/ ٨٤، و"السيرة الحلبية" ١/ ٤٤٩، و"الدرر في اختصار المغازي والسير" و"سبل الهدى والرشاد" ٢/ ٥٠٢، وغير ذلك. "[1]

أسانيد القصة الصحيحة مرسلة ، وكثرة المراسيل يقوي الرواية .

رواية البيهقي : " حِينَ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ آذَاهُ قَوْمُهُ وَهَمُّوا بِهِ فَقَامَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ دُونَهُ وَأَبَوْا أَنْ يُسْلِمُوهُ فَلَمَّا عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى بَنِى هَاشِمٍ وَبَنِى الْمُطَّلِبِ أَنْ لاَ يُنْكِحُوهُمْ وَلاَ يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ وَلاَ يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ وَعَمَدَ أَبُو طَالِبٍ فَأَدْخَلَهُمُ الشِّعْبَ شِعْبَ أَبِى طَالِبٍ فِى نَاحِيَةٍ مِنْ مَكَّةَ وَأَقَامَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ فِى بَنِى هَاشِمٍ وَبَنِى الْمُطَّلِبِ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا حَتَّى جُهِدُوا جَهْدًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَرْسَلَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ الأَرَضَةَ فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلاَّ أَكَلَتْهُ وَبَقِىَ فِيهَا الظُّلْمُ وَالْقَطِيعَةُ وَالْبُهْتَانُ وَأُخْبِرُ بِذَلِكَ رَسُولُهُ وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا طَالِبٍ وَاسْتَنْصَرَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ عَلَى قَوْمِهِ وَقَامَ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ فِى جَمَاعَةٍ ذَكَرَهُمُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِى الْمَغَازِى بِنَقْضِ مَا فِى الصَّحِيفَةِ وَشَقِّهَا"

وفي رواية ابن هشام : " وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ: يَا عَمّ إنّ رَبّي اللّهَ قَدْ سَلّطَ الْأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا هُوَ لِلّهِ إلّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا ، وَنَفَتْ مِنْهُ الظّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ فَقَالَ أَرَبّك أَخْبَرَك بِهَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَوَاَللّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْك أَحَدٌ ، ثُمّ خَرَجَ إلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا ، فَهَلُمّ صَحِيفَتَكُمْ فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي فَانْتَهُوا عَنْ

(1) عبد السلام بن محمد علوش تعليقا على كتاب " "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" ج ١ص ١٤٧

قَطِيعَتِنَا ، وَانْزِلُوا عَمّا فِيهَا ؟ وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا دَفَعْت إلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي ، فَقَالَ الْقَوْمُ رَضِينَا، فَتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمّ نَظَرُوا ، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرّا . فَعِنْدَ ذَلِك صَنَعَ الرّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَقْضِ الصّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا " (١)

وفي موضع آخر قال ابن هشام " فَقَامَ الْمُطْعِمُ إلَى الصّحِيفَةِ لِيَشُقّهَا ، فَوَجَدَ الأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْهَا ، إلّا " بِاسْمِك اللّهُمّ " (٢)

أما قول الكاتب" لقد شلت يد كاتبها " فهذا من مزاعم بعض الرواة التي لا تصح فيقول ابن هشام " وَكَانَ كَاتِبَ الصّحِيفَةِ مَنْصُورُ بْنُ عِكْرِمَةَ . فَشُلّتْ يَدُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ ." (٣)

أبو لهب يرد جوار النبي

يقول الكاتب : " هم عمه أبو لهب أن يقوم منه مقام أبي طالب فيحميه من الأذى ويجيره من الظلم والبغي .ولكن أبا جهل عرف كيف يرد أبا لهب عن همّه ذاك، جاءه فقال له : " سل ابن أخيك عن أبيك عبد المطلب أين هو ؟ " فلما سأل أبو لهب محمداً : " أين عبد المطلب ؟ " أجابه : " بين قومه " فخرج الرجل راضيًا لا يرى بجواب ابن أخيه بأسًا .ولكن أبا جهل ضحك له ضحكة الشيطان وقال : " فإنه يزعم أن عبد المطلب وقومه في النار . " فرجع أبو لهب إلى ابن أخيه يسأله : " أحق ما أنبئت به من أنك تقول إن عبد المطلب في النار؟ " قال رسول الله : " نعم " وكل من مات على جاهليته فهو في النار . " قال أبو لهب : " لا جوار لك عندي . " ثم خرج إلى قريش فقال "اصنعوا بصاحبكم ما تريدون فإني قد رفعت عنه حمايتي وجواري" (٤)

وما ذكره الكتاب لا يصح فقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ ، قَالُوا : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَهْرٌ وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ ، اجْتَمَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ فَلَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَقَلَّ

---

(1) سيرة بن هشام ج ١ص ٣٧٧ .
(2) سيرة بن هشام ج ١ص ٣٧٦ .
(3) سيرة بن هشام ج ١ص ٣٧٦ .
(4) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٥ .

الْخُرُوجَ ، وَنَالَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ ، وَلا تَطْمَعُ بِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا لَهَبٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، امْضِ لِمَا أَرَدْتَ ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا إِذْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا فَاصْنَعْهُ، لا وَاللاتِ لا يُوصَلُ إِلَيْكَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَسَبَّ ابْنُ الْغَيْطَلَةِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ ، فَنَالَ مِنْهُ ، فَوَلَّى وَهُوَ يَصِيحُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ صَبَأَ أَبُو عُتْبَةَ فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالَ : مَا فَارَقْتُ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَكِنِّي أَمْنَعُ ابْنَ أَخِي أَنْ يُضَامَ حَتَّى يَمْضِيَ لِمَا يُرِيدُ ، قَالُوا : قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ وَوَصَلْتَ الرَّحِمَ ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ أَيَّامًا يَذْهَبُ وَيَأْتِي ، لا يَعْتَرِضُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهَابُوا أَبَا لَهَبٍ إِلَى أَنْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ إِلَى أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالا لَهُ: أَخْبَرَكَ ابْنُ أَخِيكَ أَيْنَ مَدْخَلُ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ : يَا مُحَمَّدُ أَيْنَ مَدْخَلُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ قَالَ : " مَعَ قَوْمِهِ " ، فَخَرَجَ أَبُو لَهَبٍ إِلَيْهِمَا ، فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : " مَعَ قَوْمِهِ " ، فَقَالا : يَزْعُمُ أَنَّهُ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَيَدْخُلُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ النَّارَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " نَعَمْ وَمَنْ مَاتَ عَلَى مِثْلِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ دَخَلَ النَّارَ "، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : وَاللَّهِ لا بَرِحْتُ لَكَ عَدُوًّا أَبَدًا ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فِي النَّارِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ هُوَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ . "

وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً فلم أقف على أحد من أهل الحديث صححه ، وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ راوي الحديث قال عنه بن حجر مختلف في صحبته ، ولم يثبت له سماع . وقال عنه الإمام البخاري : " حديثه عن النبي مرسل " .

كما أن الحديث لا يصح معنى ؛ فما كان أبو لهب ليدافع عن رسول الله وهو أول من جهر بمعاداته ، وتوعده القرآن الكريم هو وزوجه بالخلود في النار . وإن قيل : دافع عن النبي عصبية لا إيماناً ، فمن أولى بالدفاع عن النبي عصبية وإيماناً بعد أبي طالب: حمزة بن عبد المطلب فارس مكة المغوار الذي ضرب أبي جهل لأنه آذى النبي ، حمزة أسد الله ورسوله ، أم أبو لهب عدو الله ورسوله ؟!

كما أن الحديث اشتمل على مخالفة دينية وهي تصريحه بدخول عبد المطلب النار، ومعلوم أن عبد المطلب من أهل الفترة ، وأهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة

الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ .

أهل الفترة ومصيرهم

اختلف العلماء في مصير أهل الفترة على أقوال كثيرة الراجح فيها رأيان :

الأول: أن من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً، فإن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء : ١٥] وقال تعالى ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ [الملك : ٨ ، ٩] وقال تعالى ﴿ رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] وقال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦] أي: بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله .

الثاني : أن من ماتوا ولم تبلغهم الدعوة يمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فقد عصى الله تعالى فهو من أهل النار، وهذا قول جمهور السلف، حكاه الأشعري عنهم واستدلوا على ذلك بحديث الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ شَيْئًا وَرَجُلٌ أَحْمَقُ وَرَجُلٌ هَرِمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا" [صحيح رواه أحمد ، وابن حبان]

والراجح عندي هو الرأي الأول لتوافر النصوص الدينية القاطعة عليه ، وحتى الرأي الثاني لا يقطع بدخول عبد المطلب وغيره من أهل الفترة النار .

تآمر قريش على قتل النبي

قال الكاتب : " واجتمعت قريش في دار ندوتها تتشاور في أمر محمد، وحضر اجتماعهم أبو مرة ظاهرًا لهم في زيه ذاك الذي كان يراه فيه أبو جهل . فلما جعل القوم يديرون رأيهم بينهم أخذ أبو مرة يرد على كل متكلم كلامه، حتى قال أبو جهل مقالته فأيدها أبو مرة أشد التأييد .ولم لا !لقد كانت مقالة أبو جهل تبلغه الغاية التي كان يسعى إليها . رأى أبو جهل أن ينتدب لقتل محمد فتى جَلْدًا من كل قبيلة من قبائل قريش، ثم إذا اجتمع هؤلاء الفتيان عدوا على محمد فضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد، فإذا فعلوا ذلك ذهب دمه بين القبائل، ولم يعرف بنو عبد مناف عند من يطلبون بدمه .ولكن كيد أبي جهل وأبي مرة لم يغن عنهما من الله شيئًا؛ فقد خرج محمد على هؤلاء الفتيان يتلو آيات من القرآن، ويضع التراب على رءوسهم، وغشيت أبصارهم فهم لا يرونه، وارتدوا عما أرادوا خائبين، كما ارتد أبو جهل خائبًا عن كل ما أراد . " (١)

روي هذه القصة أبو نعيم في دلائل النبوة وابن هشام في سيرته والطبري في تفسيره .

قال ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهِمْ عَرَفُوا أَنّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً فَحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إلَيْهِمْ وَعَرَفُوا أَنّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ . فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النّدْوَةِ – وَهِيَ دَارُ قُصَيّ بْنِ كِلابٍ الّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لا تَقْضِي أَمْرًا إلّا فِيهَا – يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ حَيْنَ خَافُوهُ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَبِي الْحَجّاجِ وَغَيْرِهِ مِمّنْ لا أَتّهِمُ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ وَاتّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الّذِي اتّعَدُوا لَهُ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمّى يَوْمَ الزّحْمَةِ فَاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ ، بَثْلَةٌ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدّارِ

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٦ .

فَلَمّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا ، قَالُوا : مَنْ الشّيْخُ ؟ قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالّذِي اتّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ وَعَسَى أَنْ لا يُعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا ، قَالُوا: أَجَلْ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْب . وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف : طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ . وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ : النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ . وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى : أَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ . وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ : أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَام . وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ : نُبَيْهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ ، وَمِنْ بَنِي جُمَحٍ : أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِمّنْ لَا يُعَدّ مِنْ قُرَيْشٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إنّ هَذَا الرّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَإِنّا وَاَللّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا . قَالَ فَتَشَاوَرُوا . ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمّ تَرَبّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشّعَرَاءِ الّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ زُهَيْرًا وَالنّابِغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ : لا وَاَللّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ . وَاَللّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الّذِي أَغْلَقْتُمْ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ حَتّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ فَتَشَاوَرُوا . ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا ، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنّا فَوَاَللّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ وَلا حَيْثُ وَقَعَ إذَا غَابَ عَنّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ . فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ : لَا وَاَللّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ وَاَللّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلّ عَلَى حَيّ مِنْ الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ثُمّ يَسِيرُ بِهِمْ إلَيْكُمْ حَتّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمّ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا أَرَادَ دَبّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا . قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَاَللّهِ إنّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا ، ثُمّ نُعْطِي

كُلّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا ، ثُمّ يَعْمِدُوا إلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ . فَإِنّهُمْ إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، فَرَضُوا مِنّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ . قَالَ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ : الْقَوْلُ مَا قَالَ الرّجُلُ هَذَا الرّأْيُ الّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ فَتَفَرّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ .

فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ لا تَبِتْ هَذِهِ اللّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِك الّذِي كُنْت تَبِيتُ عَلَيْهِ . قَالَ فَلَمّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنْ اللّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ فَلَمّا رَأَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجّ بِبُرْدِي هَذَا الأَخْضَرِ ، فَنَمْ فِيهِ فَإِنّهُ لَنْ يَخْلُصَ إلَيْك شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إذَا نَامَ . " (١)

هذا الحديث المشهور موقوف على : ابن عباس ، وعائشة ، وعلي بن أبي طالب، وسراقة بن مالك وغيرهم وليس مرفوعاً إلى النبي ، وكثرة رواياته تقويه .

قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق : " وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده، عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم، دخل حديث بعضهم في بعض، فذكر نحو ما تقدم." (٢)

غزوة بدر وقتال الملائكة فيها

قال الكاتب عن أبي جهل في غزوة بدر : " يرى سحائب بين السماء والأرض قد أظلم لها الجو، ومرت كأنها العواصف، ثم هبط منها أشخاص قد لبسوا العمائم وألقوا فضلها على ظهورهم، وركبوا الخيل مسومة، وهم يضربون من المشركين الأعناق ويقطعون منهم كل بنان." (٣)

---

(1) سيرة بن هشام ج ١ص ٤٨٠ – ٤٨٣ .
(2) ابن كثير " السيرة النبوية " ج ٢ص ٢٢٩ .
(3) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٧ .

وتجسد الملائكة في هيئة أشخاص تلبس عمائم وتركب خيولاً مسومة في غزوة بدر وردت في روايات أسانيدها لا تصح .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنّهُ حُدّثَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ حَدّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قَالَ أَقْبَلْت أَنَا وَابْنٌ عَمّ لِي حَتّى أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدّبْرَةُ فَنَنْتَهِبُ مَعَ مَنْ يَنْتَهِبُ. قَالَ فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ إذْ دَنَتْ مِنّا سَحَابَةٌ فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمْحَمَةَ الْخَيْلِ فَسَمِعْت قَائِلًا يَقُولُ أَقْدِمَ حَيْزُومُ فَأَمّا ابْنُ عَمّي فَانْكَشَفَ قِنَاعُ قَلْبِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ وَأَمّا أَنَا فَكِدْت أَهْلَكَ ثُمّ تَمَاسَكْتُ . "

والحديث لا يصح لأن فِى إسْنَادِهِ مَجَاهِيلُ وَانْقِطَاعٌ.

وعن ابنِ عباسٍ قال : " كان سِيما الملائكةُ يومَ بدرٍ عمائمُ بيضٌ قد أرسلوها إلى ظهورِهم ويومَ حنينٍ عمائمُ حمرٌ ولم تقاتلِ الملائكةُ في يومٍ إلا يومِ بدرٍ إنما كانوا يكونون عددًا ومددًا لا يضربونَ " رواه الطبراني في معجمه الكبير بسند ضعيف .

وفي مقابل هذه الأحاديث غير الصحيحة التي تصف هيئة الملائكة هناك أحاديث صحيحة تؤكد عدم رؤية الملائكة في المعركة عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " [صحيح مسلم]

وعَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا قَالَ قَالَ إِنِّي لأَتْبَعُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي " [صحيح أحمد]

مصرع أبي جهل في بدر

قال الكاتب عن قتل أبي جهل في غزوة بدر : " ثم يقحم فرسه بين الصفوف، وإذا هو صريع قد قطعت إحدى ساقيه والدم ينزف منه نزفًا شديدًا، ولكنه مستيقظ يقظةً لم

يعرفها قط، يرى كل شيء، يرى أصحاب محمد يأخذون ظهور قريش برماحهم، ويرى رجلًا قد أقبل يسعى حتى وطئ صدره بقدميه . من يكون هذا الرجل؟ إني أعرفه !لقد فتنته بمكة فتنة شديدة ! إنه الهذلي ابن مسعود راعي الغنم !

ثم يرتفع صوت أبي جهل متحدثًا إلى ابن مسعود رضي الله عنه فيقول : " لقد ارتقيت مرتقًى صعبًا يا راعي الغنم. " يقول ابن مسعود : " وهل أخزاك الله يا عدو الله " قال أبو جهل : " وبم أخزاني ! وأي عار على فتى قتلتموه ! ولكن أنبئني لمن العاقبة؟ " قال ابن مسعود : " لله ولرسوله وللمسلمين ثم أهوى إليه فاحتز رأسه وحمله إلى النبي . " (١)

روى ابن هشام عن ابن إسحاق في قتل أبي جهل : " فَمَرّ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلَى ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ – فِيمَا بَلَغَنِي – اُنْظُرُوا ، إنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلَى ، إلَى أَثَرِ جُرْحٍ فِي رُكْبَتِهِ فَإِنّي ازْدَحَمْتُ يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْدُبَةٍ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ جُدْعَانَ وَنَحْنُ غُلَامَانِ وَكُنْتُ أَشَفّ مِنْهُ بِيَسِيرٍ فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَجُحِشَ فِي إحْدَاهُمَا جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ . قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : فَوَجَدْته بِآخِرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ – قَالَ وَقَدْ كَانَ ضَبَثَ (قبض) بِي مَرّةً بِمَكّةَ فَآذَانِي وَلَكَزَنِي ، ثُمّ قُلْت لَهُ هَلْ أَخْزَاك اللّهُ يَا عَدُوّ اللّهِ ؟ قَالَ وَبِمَاذَا أَخْزَانِي ، أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَخْبِرْنِي لِمَنْ الدّائِرَةُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ قُلْت : لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ .. وَزَعَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَنّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ قَالَ لِي : لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَمِ قَالَ ثُمّ احْتَزَزْت رَأْسَهُ ثُمّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا رَأْسُ عَدُوّ اللّهِ أَبِي جَهْلٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ آللّهِ الّذِي لا إلَهَ غَيْرُهُ – قَالَ وَكَانَتْ يَمِينَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ– قَالَ قُلْت نَعَمْ وَاَللّهِ الّذِي لا إلَهَ غَيْرُهُ ثُمّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللّهَ ." (٢)

---

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٨ .

(2) سيرة بن هشام ج ١ص ٦٣٥ .

وهذه الرواية رواها ابن إسحاق بدون إسناد ؛ حيث قال: فيما بلغني، ومن طريقه البيهقي في الدلائل .

وروى أحمد والبيهقي بسند ضعيف لانقطاعه عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (ابن مسعود) انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ وَهُوَ صَرِيعٌ وَهُوَ يَذُبُّ النَّاسَ عَنْهُ بِسَيْفٍ لَهُ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَقَالَ هَلْ هُوَ إِلا رَجُلٌ قَتَلَهُ قَوْمُهُ قَالَ فَجَعَلْتُ أَتَنَاوَلُهُ بِسَيْفٍ لِي غَيْرِ طَائِلٍ فَأَصَبْتُ يَدَهُ فَنَدَرَ سَيْفُهُ فَأَخَذْتُهُ فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى قَتَلْتُهُ قَالَ ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ كَأَنَّمَا أُقَلُّ مِنْ الْأَرْضِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ آللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ قَالَ فَرَدَّدَهَا ثَلاثًا قَالَ قُلْتُ آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ قَالَ فَخَرَجَ يَمْشِي مَعِي حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ هَذَا كَانَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَ وَزَادَ فِيهِ أَبِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَنَفَّلَنِي سَيْفَهُ " .

والصحيح في قتل أبي جهل ما رواه الشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ قَالَ أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ قَالَ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ قَالَ وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُه " [متفق عليه]

النبي يكلِّم قتلى بدر من المشركين

يقول الكاتب : " وبعد قليل أُلقي قتلى بدر من المشركين في القليب، ووقف عليهم رسول الله يقول: " يا معشر قريش ! أرأيتم ما وعدكم ربكم حقًّا ! فإني رأيت ما وعدني ربي حقًّا " يقول المسلمون : " أتكلم الموتى يا رسول الله ؟ " فيقول : " والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا ينطقون " (١)

وما ذكره الكاتب صحيح رواه الشيخان عن نَافِع أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ " وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا " فَقِيلَ لَهُ تَدْعُو أَمْوَاتًا فَقَالَ " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ " [متفق عليه]

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٨ .

فتح مكة

يقول الكاتب : " فلما زحف النبي على مكة بعشرة آلاف من المسلمين أكبرت العرب ذلك وهابته هيبة شديدة .ولم تكد قريش ترى مقدم هذا الجيش حتى استحالت كبرياؤها فأصبحت تواضعًا وطاعة، وإذا النبي يسأل قومه " ما تظنون أني فاعلٌ بكم ؟ " فلا يدرون كيف يجيبون .فإذا عرفوا أنه العفو قالوا : " أخ كريم وابن أخ كريم . " (١)

أما أن عدد المسلمين في فتح مكة كان عشرة آلاف فهذا صحيح فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنْ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ " [البخاري]

أما عن الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وكفار مكة فهو ضعيف الإسناد فقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي يُوسُفَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ :" مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ " . قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ "

وهذا الحديث رغم شهرته ضعيف الإسناد قال ألباني فيه " ليس له إسناد ثابت، وهو عند ابن هشام معضل " ولكن هذا لا ينفي أن عفو النبي عن أهل مكة ثابت ومَنَّه عليهم ثابت كذلك فلم يحصل عليهم سبي ولا غنيمة .

هل أقسم النبي ليمثلن بسبعين من الكفار ؟

يقول الكاتب : " لم يبلغ حزنٌ من قلب رسول الله ﷺ ما بلغه الحزن على حمزة حين رآه صريعًا قد مثَّل به المشركون تلك المثلة المنكرة ! لقد حدثنا من رآه قائمًا ينظر إلى هذا المشهد الفظيع .فيأخذ الحزن من قلبه الكريم الكبير كل مأخذ حتى يخرجه عن طوره ويدفعه إلى الثورة، وإن كان لأبعد الناس عن الثورة، وإن كان لألزم الناس للوقار .

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٣٩ .

لقد ثارت لهذا المشهد البشع نفسه الهادئة الرضية، فإذا هو يُوعِد ويُنذر، وإذا هو يقسم لئن أظهره الله على قريش ليمثِّلن بقتلاهم كما مثَّلوا بعمه، وإذا غضبُ هذه النفس الهادئة الرضية يَشيع في نفوس أصحابه كما تَشيع النار في الحطب الجزْل، فيقسمون لئن أظهرهم الله على قريش ليمثلُنَّ بقتلاهم مُثْلة لم تعرفها العرب قط . ولكن الله عز وجل كان يريد برسوله وبعباده غير ما أراد لهم الغضب، وإذا هو يؤدبهم بأدب غير هذا الأدب العتيق الذي يقوم على الحفيظة والحمية والثأر، وإذا هو ينزل على رسوله ﷺ هذه الآيات الكريمة :﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فيثوب إلى القلب الكريم ما فارقه من العفو، ويعود إلى النفس الكبيرة ما ندَّ عنها من الصبر، ويكفِّر النبي عن يمينه، ويرد المسلمون إلى العفو والصبر والحلم والأناة، ويظهر الله رسوله وعباده على الذين قتلوا حمزة وأصحابه الشهداء ومثلوا بهم، فلا يلقون منهم إلا العفو والبر، وإلا الرحمة والعطف، وإلا المودة والإحسان .وكذلك يقوم أمر هذه الأمة على الصبر والمغفرة والصفح الجميل. " (١)

يورد العلماء هذا الحديث في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦]

وهو حديث ضعيف لم يثبت، يُروَى عن ثلاثة من الصحابة الكرام مِن طرق لا تصح:

منها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " أَنّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَمُثِّلَ بِهِ ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مَنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ وَلا أَوْجَلَ ، فَقَالَ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولا لِلرَّحِمِ ، فَعُولا لِلْخَيْرَاتِ ، وَلَوْلا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجٍ شَتَّى. ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ : وَاللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ . فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ بَعْدُ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٤٥ .

عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] ، حَتَّى تُخْتَمَ السُّورَةُ ، فَكَفَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمْسَكَ عَمَّا أَرَاد "رواه الطبراني والحاكم والبيهقي ضعفه الألباني.

ومنها ما رواه ابن عباس قال : " لَمَّا قُتِلَ حَمْزَةُ وَمُثِّلَ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ رَجُلا مِنْهُمْ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " بَلْ نَصْبِرُ " رواه الطحاوي والبيهقي ضعفه الألباني وغيره .

الحديث الثالث : عن قيس بن سعد بن عبادة قال : " لما نظر رسول الله ﷺ إلى حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَلِبِ قَالَ : وَاللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ . فَجَاءَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الآية : ﴿ خُذِ العفو وَأْمُرْ بالعرف وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهلين ﴾ فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ : لا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ . ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أن تَعفوَ عمن ظَلَمَكَ ، وتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعطِيَ مَنْ حَرَمَكَ " رواه ابن مردويه ، وفي هذا الإسناد محمد بن يونس الكديمي : وهو متهم بالكذب ووضع الحديث .

والحاصل أن الأحاديث الثلاثة ضعيفة لا تتقوى ، لما فيها من أسباب الضعف الشديد والنكارة ، والثابت أن الذي توعد بالتمثيل بجثث المشركين هم بعض الصحابة، وليس النبي ﷺ وذلك رغبة في الانتقام لقتلاهم الذين مَثَّل المشركون بهم ، كما هي طبيعة البشر في حب القصاص من الظالم والمعتدي بمثل ما ظلم واعتدى ، ولكن الله عز وجل نهاهم عن ذلك ، وندبهم إلى الصبر واحتساب الأجر عند الله .

فقد ثبت عن أُبَي بن كعب قال : " لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنْ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلا ، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ ، فِيهِمْ حَمْزَةُ ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ : لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ رواه الترمذي ، وصححه الألباني والذهبي وغيرهما . (١)

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع الشيخ محمد صالح المنجد موقع الإسلام سؤال وجواب .

دفن حمزة بن عبد المطلب

يقول الكاتب عن دفن سيدنا حمزة : " أترون إلى أخته صفية وقد بلغها مصرعه العنيف، فأقبلت تسعى لتراه وتحمل ثوبين لتلفه فيهما، ويشفق رسول الله عليها من هذا المشهد، فيأمر ابنها الزبير أن يردها، ولكنها تأبى؛ فقد بلغها أنه صرع، وبلغها أنه مُثِّلَ به، وقد رضيت بذلك واطمأنت إليه، فذلك في الله قليل. أخت عنيفة لأخ عنيف، عنيفة بنفسها قبل أن تعنف بالناس، ولكنها أخت رحيمة لأخ رحيم . أترون إليها وقد أقبلت فرأت أخاها، وتنظر فترى جهد المسلمين وفقرهم وعجزهم عن تكفين موتاهم، فترد عن أخيها أحد الثوبين ليكفن المسلمون به شهيدًا من شهدائهم، وترضى لأخيها بعد أن رع هذا المصرع ومثل به هذه المثلة أن يكفن في ثوب واحد لا يلف جسمه كله، إن ستر رأسه أظهر رجليه، وإن ستر رجليه أظهر رأسه .وإذا النبي يأمر بأن يستر الثوب رأسه وأن تغطى رجلاه بأوراق الشجر. " (١)

وأصل القصة صحيح ولكن الكاتب قد غيَّر فيها فتكفين حمزة بأحد ثوبي السيدة صفية ليس اقتراحها إنما كان قرار النبي ﷺ وصحبه الكرام .

روى أحمد بسند صحيح عَنْ عُرْوَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي الزُّبَيْرُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ تَسْعَى حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى قَالَ فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ فَقَالَ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ قَالَ فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى قَالَ فَلَدَمَتْ فِي صَدْرِي وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلْدَةً قَالَتْ إِلَيْكَ لا أَرْضَ لَكَ قَالَ فَقُلْتُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكِ قَالَ فَوَقَفَتْ وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا فَقَالَتْ هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لأَخِي حَمْزَةَ فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا قَالَ فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ قَتِيلٌ قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ قَالَ فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٤٦ .

وَالأَنْصَارِيُّ لا كَفَنَ لَهُ فَقُلْنَا لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ وَلِلأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ فَقَدَرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنْ الآخَرِ فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا فَكَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي صَارَ لَهُ " .

أما قِصَر الثوب الذي كُفِّن فيه حمزة فقد روى البيهقي في سننه بسند ضعيف عَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ جُدِعَ ، وَمُثِّلَ بِهِ فَقَالَ :" لَوْلاَ أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ تَرَكَتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ " . فَكَفَّنَهُ فِى نَمِرَةٍ إِذَا خُمِّرَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ ، وَإِذَا خُمِّرَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ فَخَمَّرَ رَأْسَهُ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أُحُدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ :« أَنَا شَاهِدٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ». وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلاَثَةَ وَالاِثْنَيْنِ فِى قَبْرٍ وَاحِدٍ وَيَسْأَلُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا فَيُقَدِّمُهُ فِى اللَّحْدِ ، وَكَفَّنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ فِى الثَّوْبِ الْوَاحِدِ."

أما تغطية قدمي سيدنا حمزة بأوراق الشجر فلا يصح .

بكاء النبي حمزة

يقول الكاتب : " لقد كان حمزة عم النبي وأخاه في الرضاعة، وقد اجتمع مع النبي من جهتيه، من جهة أبيه ومن جهة أمه ؛ فقد كانت أمه هالة بنت عم آمنة . ولقد كان النبي به رفيقًا وعليه شفيقًا وبولده برًّا . فأي عجب في أن يبلغ مصرع حمزة بالنبي ﷺ طور الجزع الذي لم يألفه قلبه الكريم، فيغضب ويثور وينذر ويوعد، حتى إذا رده الله عن الغضب والثورة وعن الإيعاد والنذير عاد إلى المدينة وقد أقر الله في قلبه حزنًا قويًّا مقيمًا، قوامه الرحمة والحب . يمر ببني عبد الأشهل، فيسمع بكاء النساء على شهداء الأنصار، فيقول هذه الكلمة البالغة التي لا أعرف أروع منها في تصوير الرحمة والحزن معًا : لكن حمزة لا بواكي له !

وتبلغ هذه الكلمة آذان الأنصار وتنفذ إلى قلوبهم وتستقر فيها، وتملؤها حبًّا لحمزة وحزنًا عليه، وإيثارًا للنبي ومشاركة له فيما يجد، وإذا هم يأمرون نساءهم أن يذهبن إلى بيت النبي فيبكين عمه وأسده وصفيه وأخاه .وقد فعلن، وتلقاهن نساء النبي فبكين،

ورضيت نفس النبي لذلك، وامتلأت له حنانًا وودًّا .ولكن الله يأبى على نبيه وعلى عباده حتى هذا الإغراق في الحزن، وإذا النبي يصرف هؤلاء النساء رفيقًا بهن داعيًا لهن، فإذا أصبح صعد المنبر فنهى عن إعلان البكاء أشد ما يكون النهي.

ولكن كلمته قد استقرت في نفوس الأنصار، وقد نفذت إلى قلوب الأنصاريات خاصة، وقد توارثنها وتوارثن التأثر بها، فما يموت من الأنصار أحد وما تبكي امرأة أنصارية على أحد إلا بدأت بحمزة فبكت عليه وذكرته بالخير، ثم ثنت بصاحبها فسفحت عليه دموع الحب والحزن .وما أرى إلا أن هذا سيظل دأب الأنصاريات "(١)

ذكر أهل السير أربع نسوة أرضعوا النبي ﷺ وأول هؤلاء النسوة أمه آمنة بنت وهب، وبعدها ثويبة مولاة عمه أبي لهب التي كانت أول من أرضعه بعد أمه، وبعدهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، كما أرضعته امرأة من بني سعد كانت مرضعاً لعمه حمزة فقد كان مسترضعاً في بني سعد، ولذلك فحمزة أخو النبي ﷺ من الرضاعة من جهتين من جهة ثويبة ومن جهة السعدية .

هذا عن أن النبي أخو حمزة في الرضاعة أما عن بكاء الأنصار عليه فقد روى أحمد بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ فَجَعَلَتْ نِسَاءُ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنْ حَمْزَةُ لا بَوَاكِيَ لَهُ قَالَ ثُمَّ نَامَ فَاسْتَنْبَهَ وَهُنَّ يَبْكِينَ قَالَ فَهُنَّ الْيَوْمَ إِذًا يَبْكِينَ يَنْدُبْنَ بِحَمْزَةَ "

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أيضاً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ سَمِعَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَقَالَ لَكِنْ حَمْزَةُ لا بَوَاكِيَ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ فَجِئْنَ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ قَالَ فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ اللَّيْلِ فَسَمِعَهُنَّ وَهُنَّ يَبْكِينَ فَقَالَ وَيْحَهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ يَبْكِينَ بَعْدُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ وَلا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ " رجال إسناده ثقات إلا أسامة بن زيد الليثي ففيه مقال وقد أخرج له مسلم .

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٤٦، ٣٤٧ .

وعن عبد الله بن عباس قال : " لَمَّا رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ من أُحدٍ بكت نساءُ الأنصارِ على شهدائِهم فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لكنَّ حمزةَ لا بواكِيَ له فرجعت الأنصارُ فقلْنَ لنسائِهم لا تبكينَ أحدًا حتى تبدأنَ بحمزةَ قال فذاك فيهم إلى اليومِ لا يبكينَ ميتًا إلا بدأنَ بحمزةَ " صحيح رواه الطبراني .

جعفر بن أبي طالب

يقول الكاتب عن جعفر ابن أبي طالب : " حين بلغ المدينة وكان ابن عمه ﷺ عائدًا إليها ، وقد فتح الله عليه ما فتح من حصون خيبر وثبت أمره، وأعلى كلمته، وإذا ابن عمه يلتزمه ويقبل بين عينيه ويقول : " ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا : بفتح خيبر، أم بعودة جعفر . " (١)

وما ذكره الكاتب صحيح فروى البزار عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَتَيْنَا النَّجَاشِيَّ ، فَأَرَدْنَا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ حَمَّلَنَا وَزَوَّدَنَا ، وَأَعْطَانَا ، ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرُوا صَاحِبَكُمْ بِمَا صَنَعْتُ بِكُمْ ، وَهَذِهِ رُسُلِي مَعَكُمْ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، فَقُلْ لَهُ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ جَعْفَرٌ : فَخَرَجْنا مِنْ عِنْدِهِ إِذَا أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ ، فَتَلَقَّانِي النَّبِيُّ ﷺ فَاعْتَنَقَنِي ، وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَنَا بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرَحُ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَامَ رَسُولُ النَّجَاشِيِّ ، فَقَالَ : هَذَا جَعْفَرٌ فَسَلْهُ عَمَّا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُنَا ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : قَدْ فَعَلَ بِنَا ، وَحَمَّلَنَا وَزَوَّدَنَا ، وَشَهِدَ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، وَقَالَ : قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي ، فَدَعَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمُ اغْفِرْ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : آمِينَ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ ﷺ انْطَلِقْ ، فَأَبْلِغْ صَاحِبَكَ مَا رَأَيْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. رواه البزار وفيه أسد بن عمرو ومجالد بن سعيد وثقهما غير واحد وضعفهما جماعة وبقية رجاله ثقات .

وروى الحاكم في مستدركه عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنْ الْحَبَشَةِ، فَتَلَقَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: "وَاَللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٥٦ .

أَفْرَحُ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ"؟ هذا حديث صحيح إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلا وقد وصله أجلح بن عبد الله "

يقول الكاتب : " كان الناس يرون من بره بالضعفاء، ورفقه بالمساكين، ورحمته للبائسين، وإيثاره أصحاب العوز على نفسه وعلى أهله، بما كان الله يتيح له ولهم من الكثير والقليل، حتى كنَّاه ابن عمه بهذه الكنية الحلوة " أبي المساكين " . (١)

أخرج الطبراني بسنده في معجمه الكبير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: كَانَ جَعْفَرٌ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ يُحَدِّثُهُمْ، ويُحَدِّثُوهُ " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّيهِ أَبُو الْمَسَاكِينَ " ولم أقف على تخريج الحديث .

استشهاد جعفر بن أبي طالب

قال الكاتب متخيلاً الحرية تتحدث عن جعفر بن أبي طالب : " وكان في نفسه شيء حين أمَّر ابن عمه عليه زيد بن حارثة . وقد كلم النبي في ذلك، فقال النبي له في صوت يملؤه الحب والحنان والإشفاق " امضه فإنك لا تدري أي ذلك خير . "

لقد عرفت دخيلة نفسه ، وسمعت نجوى ضميره بعد هذا الحديث إنما كان الشوق إلى حسن البلاء واحتمال أثقال الجهاد هو الذي دعاه إلى أن يعاتب النبي في تقديم زيد عليه . كان يؤثر زيدًا والمسلمين، ويريد أن يقدم عليهم نفسه إلى المكروه . فلما رده النبي عن ذلك كانت نفسه تتأذى مخافة أن تظن به الأثرة، وما أراد إلا الإيثار . وكانت نفسه تتحرق شوقًا إلى أن يلقى من الأذاة في سبيل الله مثل ما لقي زيد وأصحاب زيد . ولقد رأيته حين تقدم زيد فقاتل حتى قتل وآن له أن يأخذ الراية، وكان على فرس له . فينزل عن فرسه ويعقره ويكون أول عاقر في الإسلام، ويتقدم بالراية فيقاتل حتى تقطع يداه، وحتى تأخذه السيوف والرماح والسهام، وحتى يصرع كما كان يريد أن يصرع شهيدًا . ولولا ما أنبأ النبي به مما صار إليه من نعمة الله عليه، لما تعزيت عن الحزن

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٥٦ .

الذي ملأ نفسي لمصرعه . ولكن كيف السبيل إلى الحزن على الشهداء الذين لا يكادون يموتون حتى يردوا إلى الحياة وإذا هم أحياء عند ربهم يرزقون ! كيف السبيل إلى الحزن على شهيد لم يدركه الموت حتى رفع إلى السماء، وأنبأ النبي بأن الله قد عوضه من يديه جناحين مخضوبين بالدماء يطير بهما في الجنة فيتبوأ منها حيث يشاء . " (١)

وما ذكره الكاتب عن جعفر بن أبي طالب صحيح ، ما عدا عقر فرسه ، فقد روى أحمد بسند جيد عن أَبُي قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَأُمِّي مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا قَالَ امْضُوا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَيٌّ ذَلِكَ خَيْرٌ قَالَ فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى الصَّلاةُ جَامِعَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ الأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً فَانْتَصِرْ بِهِ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا " [حسنه الألباني]

بالنسبة لعقر جعفر فرسه فالحديث فيه لا يصح فعن عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحَدُ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ غَزَاةِ مُؤْتَةَ قَالَ : " وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ " قَالَ أَبُو دَاوُد هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ .

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

رحلة الطائف

قال الكاتب عن النبي في سبب سفره للطائف وما جرى له فيها : " فلما ضاقت مكة بخير أبنائها خرج إلى الطائف يلتمس جوار ثقيف، فأقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، يسعى عند هذا ويلطف لذاك، وكلهم يرده وكلهم يمتنع عليه .وكان مقامه فيهم قد أخافهم وثقل عليهم وأثار في نفوسهم إشفاقًا أن يصيب مدينتهم ما أصاب مكة من اضطراب الأمر وانتفاض الضعفاء على الأقوياء، واستجابة قوم لهذا الرجل الذي أنكره قومه ولم تره مدينته إلا ما يكره فتقدموا إليه في الرحيل عنهم .ولم يكد يفعل حتى أغروا به سِفْلَة الناس وسفهاءهم، فتبعوه يؤذونه بالقول والفعل حتى ألجئوه ضعيفًا مكدودًا وكئيبًا محزونًا إلى حائط هذين القرشيين (عتبة وشيبة ابني ربيعة) .وأقبل النبي وقورًا هادئ الخطى مطمئن النفس، تظهر على وجهه الكريم آيات الضعف وآيات القوة، وآيات الحزن وآيات الرجاء. ضعفٌ مصدره الجهد والعناء . وقوةٌ مصدرها الحزم والعزم . وحزنٌ مصدره الرحمة لهؤلاء الذين يدعوهم إلى الخير فيبغونه بالسوء، ويرشدهم إلى النجح فيريدونه بالمكروه .ورجاءٌ مصدره الثقة بأن الله لم يختره لرسالته ليخذله قبل أن يتم أمره ويعلي كلمته ويظهر دينه على الدين كله، وبأن الله لا يصيبه بما يصيبه به من المكروه إلا امتحانًا لقلبه، وابتلاء لنفسه، وتمحيصًا لطبعه.

رأيا ابن عمهما يأوي إلا ظلالهما مكروبًا محزونًا، فلم يملكا أن يمتنعا من أن ينالاه بأيسر الخير وأهون البر، فيدعوان عدَّاسًا — عبدًا من عبيدهما — ويأمرانه أن يحمل إلى هذا الرجل الضعيف المكدود شيئًا من عنب البستان ليصيب منه .ويمضي العبد منفذًا أمرهما ."" (١)

وقصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس نصرة سادة ثقيف التي رواها ابن هشام عن ابن إسحاق وأبو نعيم والبيهقي ضعيفة مرسلة ورغم ضعف هذه الروايات إلا أنه يقوي بعضها بعضًا .

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٦٠ .

قال ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ ، قَالَ لَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى الطّائِفِ ، عَمَدَ إلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إخْوَةٌ ثَلاثَةٌ عَبْدُ يَالَيْل بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَكَلّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الإسْلامِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إنْ كَانَ اللّهُ أَرْسَلَك ، وَقَالَ الآخَرُ أَمَا وَجَدَ اللّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَك وَقَالَ الثّالِثُ وَاَللّهِ لا أُكَلّمُك أَبَدًا . لَئِنْ كُنْتَ رَسُولا مِنْ اللّهِ كَمَا تَقُولُ لأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدّ عَلَيْك الْكَلامَ وَلَئِنْ كُنْت تَكْذِبُ عَلَى اللّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلّمَك . فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – : إذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْئِرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ عَبِيدُ بْنُ الأَبْرَصِ: .. وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النّاسُ وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا فِيهِ وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ .. قَالَ فَلَمّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَمَا لَقِيَ تَحَرّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا ، فَدَعَوْا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيّا ، يُقَالُ لَهُ عَدّاسٌ فَقَالَا لَهُ خُذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطّبَقِ ثُمّ اذْهَبْ بِهِ إلَى ذَلِكَ الرّجُلِ فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ . فَفَعَلَ عَدّاسٌ ثُمّ أَقْبَلَ بِهِ حَتّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثُمّ قَالَ لَهُ كُلْ " (١)

حديث عدَّاس

يقول الكاتب على لسان عدَّاس عبد ابني ربيعة : " فلما بلغته سمعت منه كلامًا ما سمعت مثله في هذه الأرض . فلما سألته عن ذلك سألني عن موطني، فلما أنبأته به قال :هذا موطن يونس نبي الله " فما شككت في أنه صاحبي الذي أقبلت ألتمس أنباءه"

(١) سيرة بن هشام ج ١ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

قال عتبة : " ويحك يا عدَّاس ! إن حديثك هذا لعجب، ولكنا نخشى أن يفسد عليك: " صاحبنا دينك ، وإن دينك لخير مما يدعو إليه " قال عدَّاس : " مهلاً يا سيدي ، إن الذي يقول ما سمعت لا يدعو إلى شر ولا يغري بفساد، ولا يأمر إلا بمعروف، ولا يقول إلا بمعروف . ولا يقول إلا حقّاً " قال شيبة : " ويحك يا عدَّاس ! لقد سحرك صاحبنا فيمن سحر . فماذا سمعت منه ؟ " قال عدَّاس : " بل لقد هداني فيمن هدى . ولقد سمعته يناجي ربه بحديث ما سمعت أعذب منه، لقد حفظت حديثه، وإنك لتعلم ما أنا بالعربي، وما حفظ أحاديثكم عليَّ بيسير قال عتبة : " فهات أعد علينا ما سمعت "

قال : سمعته يقول : " اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي ، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك ، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك " ولم يفرغ العبد من هذا الحديث حتى أغرق في بكاء هادئ، وأغرق سيداه في وجوم عميق .ثم ثاب القوم جميعًا إلى أنفسهم، ونظر القرشيان أحدهما إلى الآخر نظرة المستخذي الآسف .ثم قال عتبة لعدَّاس :" أنت وما تشاء يا عدَّاس من حب صاحبك وطاعته .ولكن لا تنس أن لنا عليك حقًّا وطاعة .وإنا حريصان على ألا تظهر من أمرك شيئًا فتضطرنا فيك إلى ما نكره، وتضطر قومنا فينا إلى ما تكره. " (١)

وقصة النبي مع عدَّاس كما ذكرها ابن إسحاق وسبق تخريجها تقول : " فَفَعَلَ عَدّاسٌ ثُمّ أَقْبَلَ بِهِ حَتّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثُمّ قَالَ لَهُ كُلْ فَلَمّا وَضَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ قَالَ بِاسْمِ اللّهِ ثُمّ أَكَلَ فَنَظَرَ عَدّاسٌ فِي وَجْهِهِ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ إنّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَمِنْ أَهْلِ أَيّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدّاسُ وَمَا دِينُك ؟ قَالَ نَصْرَانِيّ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٦٤ .

قَرْيَةِ الرّجُلِ الصّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتّى ، فَقَالَ لَهُ عَدّاسٌ وَمَا يُدْرِيك مَا يُونُسُ بْنُ مَتّى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَاكَ أَخِي ، كَانَ نَبِيّا وَأَنَا نَبِيّ ، فَأَكَبّ عَدّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ يُقَبّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ قَالَ يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَمّا غُلَامُك فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْك . فَلَمّا جَاءَهُمَا عَدّاسٌ قَالَا لَهُ وَيْلَك يَا عَدّاسُ مَالَكَ تُقَبّلُ رَأْسَ هَذَا الرّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قَالَ يَا سَيّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إلّا نَبِيّ ، قَالَا لَهُ وَيْحَك يَا عَدّاسُ لا ، يَصْرِفَنّك عَنْ دِينِك فَإِنّ دِينَك خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ "(١)

أما دعاء النبي " اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ... " هذا الحديث الشهير ضعيف بإجماع المحدثين فله رواية واحدة مرسلة ضعيفة أحد رواتها مُدَلِّس قال فيه ابن عدي الذي أخرجه : " هذا حديث أبى صالح الراسبى لم نسمع أن أحداً حدَّث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه " .

غزوة الطائف وثورة العبيد

يقول الكاتب عن نهاية قصة عدَّاس : " ومضت أعوام وحدثت أحداث، ونظر العبد الشيخ ذات يوم فإذا محمدﷺ قد ضرب عسكره حول الطائف يحاصر فيها ثقيفًا، وكان عدَّاس قد انتقل من ملك ابني ربيعة بعد موتهما إلى الثقفيين، وإذا نفسه تنازعه إلى صاحبه، وإذا هو يحرض الرقيق ويبث فيهم الدعوة إلى الخروج على ساداتهم واللحاق بجيش المحاصرين، وإذا نفر من الرقيق يجتمعون إليه، وإذا هم يقتحمون الأسوار ويهبطون إلى العسكر مسرعين، وترميهم مقاتلة ثقيف بالنبل فتصرع منهم جماعة فيهم عدَّاس، قد مات قبل أن يبلغ صاحبه العظيم، ويخلص سائرهم إلى النبي فيهديهم إلى الإسلام ويردهم إلى الحرية، وينصرف عن حصار الطائف، حتى إذا أسلمت ثقيف تكلمت في رقيقها أولئك وأرادت ردهم إلى الطاعة، فيقول النبي الكريم " كلا ! هؤلاء عتقاء الله " .

---

(١) سيرة بن هشام ج ١ص ٤٢١

أخرج البيهقي عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُكَدَّمِ الثَّقَفِيُّ قَالَ : لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَيْهِ رَقِيقٌ مِنْ رَقِيقِهِمْ أَبُو بَكْرَةَ وَكَانَ عَبْدًا لِلْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ وَالْمُنْبَعِثُ وَيُحَنِّسُ وَوَرْدَانُ فِى رَهْطٍ مِنْ رَقِيقِهِمْ فَأَسْلَمُوا فَلَمَّا قَدِمَ وَفْدُ أَهْلِ الطَّائِفِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدَّ عَلَيْنَا رَقِيقَنَا الَّذِينَ أَتَوْكَ فَقَالَ :« لاَ أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ». وَرَدَّ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ وَلاَءَ عَبْدِهِ فَجَعَلَهُ إِلَيْهِ." وهذا حديث ضعيف مُنْقَطِعٌ.

ولا أعلم أحد من رواة السيرة ذكر شيئاً عن عدَّاس في غزوة الطائف بل إنهم أحصوا من مات في وقائع الطائف ولا ذكر لعداس فيمن قتل ، ولم يقل الكاتب وربما كان عداس أحد هؤلاء العبيد الذين ثاروا على سادتهم وأسلموا ولعله مات قبل أن يدرك النبي ﷺ ويصل إليه إنما ذكر خبر عداس بطريقة تقريرية إخبارية بل إنه استخدم صيغ التوكيد " قد انتقل ... وإذا نفسه تنازعه ... وإذا هو يحرض الرقيق ... وإذا نفر من الرقيق يجتمعون إليه، وإذا هم يقتحمون الأسوار ... قد مات قبل أن يبلغ صاحبه العظيم ، ومعلوم عند علماء البلاغة أن قد إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد التوكيد ، وأن إذا تفيد التحقيق !!

وما ذكره الكاتب عن عدَّاس فيما يتعلق بغزوة الطائف ما هو إلا من أساطيره التي يذكرها في أحداث السيرة ليحسب ، غير الدارس ، أنه من سيرة النبي وما هو من السيرة ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بالكتاب لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكتاب وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ الله وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨]

مصعب بن عمير

يقول الكتاب عن مصعب بن عمير : " وأقبل ذات يوم على النبي وأصحابه . فلما رآه المسلمون نكسوا رءوسهم وغضوا أبصارهم رحمةً له وحياء من العجز عن معونته. وسلم الفتى فرد النبي عليه السلام وأحسن عليه الثناء وهو يقول : " لقد رأيت هذا وما

بمكة فتى من قريش أنعم عن أبويه نعيمًا منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسول "(١)

وما ذكره الكاتب صحيح فعن عمر بن الخطاب قال : " نظر رسولُ اللهِ ﷺ إلى مصعبِ بنِ عُميرٍ مُقبِلاً عليه إهابُ كبشٍ قد تنطَّق به فقال النَّبيُّ ﷺ انظُروا إلى هذا الَّذي نوَّر اللهُ قلبَه ! لقد رأيتُه بين أبوَيْن يُغذُّونه بأطيَبِ الطَّعامِ والشَّرابِ ولقد رأيتُ عليه حُلَّةً شراها أو شُرِيَت بمائتَيْ درهمٍ فدعاه حبُّ اللهِ وحبُّ رسولِه إلى ما ترَوْن " [أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن]

يقول الكاتب : " ويحمل مصعبٌ لواء النبي في وقعة بدر فيعود به ظافرًا منصورًا. " (٢)

هذا ما جاء في كتب السيرة أن اللواء في غزوة بدر أعطاه النبي لمصعب قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : " وَدَفَعَ ﷺ اللِّوَاءَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ أَبْيَضَ . " (٣)

يقول الكاتب : " حتى إذا كانت وقعة أحد تقدم مصعب باللواء بين يدي النبي حتى يجد موقفه من ميدان القتال فيثبت فيه .وتشتد صدمة قريش للمسلمين فينكشفون ويتفرقون عن لوائهم .ولكن مصعبًا أثبت قدمه في الأرض، فهو لا يزول ولا يميل .

ويقبل عليه ابن قميئة — فارس من فرسان قريش — فيضرب يده بالسيف فيقطعها ويسقط اللواء، فيأخذه مصعب بيده الأخرى ويجنأ عليه . ويكر عليه ابن قميئة فيقطع يده الأخرى، ولكن قدم مصعب ثابتة وهو لا يزول ولا يميل، وما زال اللواء مرفوعًا قد ضم عليه مصعب عضديه .ويكر ابن قميئة مرة ثالثة فينفذ الرمح في صدر مصعب، ويسقط مصعب ويسقط معه اللواء فيتلقاه أخوه أبو الروم . وما يزال اللواء مرفوعًا حتى يبلغ المدينة. " (٤)

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٠ .
([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٠ .
([3]) سيرة بن هشام ج ١ص ٦١٢ .
([4]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧١، ٣٧٢ .

دفع النبي ﷺ بلواء غزوة أحد إلى مصعب صحيح فقد " سَأَلَ مَنْ يَحْمِلُ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ؟ قِيلَ بَنُو عَبْدِ الدّارِ. قَالَ نَحْنُ أَحَقّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ. أَيْنَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؟ قَالَ هَا أَنَا ذَا قَالَ خُذْ اللّوَاءَ. فَأَخَذَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَتَقَدّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ " [رواه البزار بسند حسن]

قال الواقدي في المغازي ، وابن سعد في الطبقات : " حَدّثَنِي إبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ الْعَبْدَرِيّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَمَلَ مُصْعَبٌ اللّوَاءَ فَلَمّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ فَأَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ وَهُوَ فَارِسٌ فَضَرَبَ يَدَهُ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا، وَهُوَ يَقُولُ ﴿وَمَا مُحَمّدٌ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسُلُ﴾ وَأَخَذَ اللّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى وَحَنَى عَلَيْهِ فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى، فَحَنَى عَلَى اللّوَاءِ وَضَمّهُ بِعَضُدَيْهِ إلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ ﴿وَمَا مُحَمّدٌ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسُلُ﴾ الْآيَةَ. ثُمّ حَمَلَ عَلَيْهِ الثّالِثَةَ فَأَنْفَذَهُ وَانْدَقّ الرّمْحُ وَوَقَعَ مُصْعَبٌ وَسَقَطَ اللّوَاءُ وَابْتَدَرَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ سُوَيْبِطُ بْنُ حَرْمَلَةَ وَأَبُو الرّومِ، وَأَخَذَهُ أَبُو الرّومِ فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ حَتّى دَخَلَ بِهِ الْمَدِينَةَ حِينَ انْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ." هذا حديث موقوف وليس مرفوعاً ولم أقف على تخريجه .

يقول الكاتب : " وقد انجلت قريش منتصرة عن ميدان القتال، وثاب المسلمون إلى الشهداء يوارونهم في قبورهم، فإذا مصعب قد خر على وجهه . ويهم المسلمون بدفنه فلا يجدون له كفنًا، إنما هو ثوب رث قصير، إن أخفى رأسه أظهر رجليه، وإن أخفى رجليه أظهر رأسه، والنبيﷺ يرى فيتلو قول الله عز وجل :﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

ثم يأمر أن يغطي أعلاه بالثوب وأن يلف أسفله برطب الكلأ، ثم يقول : " إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة " ثم يقبل على الناس فيقول : " أيها الناس زوروهم وأتوهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام " (١)

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٢ .

وفي كلام الكاتب عن مصعب بن عمير ما هو صحيح مثل قصر البردة التي كفن بها مصعب فعن عَبْد الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ : " قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ " [صحيح البخاري]

أما ذكر رسول الله آية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ في مصعب ، وقول النبي ﷺ " لا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إلا رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلامَ " فالحديث الذي ذكرا فيه مرسل ضعيف فعَنْ قَطَنِ بْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ : وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ مُنْجحِفٌ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدٌ ، وَكَانَ صَاحِبَ لِوَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ [الأحزاب : ٢٣] " ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ائْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إلا رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلامَ " [حديث مرسل رواه ابن المبارك في الجهاد ، وابن سعد في الطبقات]

والصحيح أن الآية نزلت في النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وفي أشباهه من شهداء أحد فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ

نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ " [متفق عليه]

الشهداء الثلاثة

يقول الكاتب : " لقد عادت قريش منتصرة تتحدث بأمر سلافة هذه وقد فقدت زوجها وتلقت ابنيها أحدهما بعد صاحبه يبلغها وقد أصابه السهم، فتضع رأسه على حجرها وتسأله : يا بني من أصابك؟ فيقول ما أدري، ولكني سمعت قائلا يقول :خذها وأنا ابن الأقلح، ثم أصابني السهم .يقول ذلك ثم يجود بنفسه بين ذراعيها .هنالك نذرت سلافة : لئن قدرت على قاتل ابنيها لتشربن في قحف رأسه الخمر . وهنالك أذاعت في أهل البادية وأعراب الحجاز أن من : " جاءها برأس ابن الأقلح هذا فله مائة من الإبل .هذا أصل الشر، وهذا مصدر البلاء ."

.. أقبل جماعة من هذيل على صاحب يثرب، فزعموا له أنهم قد آمنوا به وأسلموا له، وأن دينه قد فشا فيهم، وسألوه أن يرسل معهم من يفقههم في الدين ويعلمهم شرائعه، يظهرون الإخلاص ويضمرون الغدر، لا يبتغون إلا أن يظفروا بنفر من أهل يثرب يبيعونهم من قريش لتصيب بهم ثأرًا وليصيبوا بهم مالًا .ويريد الله لأمر قضاه أن يختار نبي يثرب ستة من أصحابه، وأن يؤمر عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح الذي كانت تبتغيه سلافة، وأن يرسل هؤلاء النفر من أصحابه مع أولئك الغادرين .فما هي إلا أن يقربوا من مكة حتى يظهر الخفي ويصرح الشر ويتبين الغدر، وإذا الذين كانوا يعلنون إيمانهم يستصرخون فيأتيهم الصريخ من هذيل، وإذا أصحاب محمد يرون الغدر فينحازون إلى الجبل .ويعاهدهم أعداؤهم على ألا يقتلوهم ولا يمسوهم بأذى إن هم ألقوا بأيديهم . فأما عاصم واثنان من أصحابه فيقسمون لا ينزلون على عهد كافر أبدًا، ويقاتلون حتى يقتلوا . وأما الآخرون فيحبون الحياة ويلينون لها فيستأسرون ؛ ولا يكادون يفعلون حتى يروا الغدر، فيأبى أحدهم أن يتبع الغادرين وإذا هو مقتول .

ويبقى الآخران أسيرين، يحملان إلى مكة ويباعان فيها . فيشتري أحدهما صفوان ..

لقد فرحت هذيل بمقتل عاصم بن ثابت، وقالت : مائة من الإبل تدفعها إلينا القرشية حين نأتيها بهذا الرأس ! ثم أقبلوا إليه يريدون أن يحتزوا رأسه . ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون؛ هذه ظلةٌ من الدبر (جماعة النحل والزنابير) تقوم دونه فتحميه وتمنعهم أن يصلوا إليه. فيقول بعضهم لبعض دعوه حتى يأتي الليل، فستنصرف عنه هذه الدبر، وسيخلص لنا رأسه .حتى إذا كان الليل هموا أن يسعوا إليه ليحتزوا رأسه .ولكن ما سمعت وماذا تسمعون ! لم يبلغوه ولم يمسوه، وإنما أقبل السيل فاحتمله، ومضى به إلى حيث لا تبلغه يد .ولقد حدثت أن هذا الرجل كان قد نذر ألا يمس كافرًا ولا يمسه كافر . ولقد حدثت أنه لما امتنع على القوم فقاتلهم وقاتلوه، رفع صوته ضارعًا إلى ربه وهو يقول: " اللهم إني قد حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخر النهار " (١)

وقصة استشهاد عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد شهداء غزوة الرّجِيعِ التي ذكرها الكاتب صحيحة في مجملها في الروايتين اللتين ذكرتها : رواية ابن إسحاق المرسلة ، ورواية البخاري الموصولة ونبدأ أولاً برواية ابن إسحاق التي رواها عنه ابن هشام " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ فِينَا إسْلامًا ، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِك يُفَقّهُونَنَا فِي الدّينِ وَيُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ وَيُعَلّمُونَنَا شَرَائِعَ الإِسْلامِ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ نَفَرًا سِتّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، حَلِيفُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ؛ وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ اللّيْثِيّ ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ؛ وَخُبَيْبٌ بْنُ عَدِيّ ، أَخُو بَنِي جَحْجَبَى بْنِ كُلْفَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَخُو بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ زُرَيْقِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَضْبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ ؛ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ طَارِقٍ حَلِيفُ بَنِي ظَفَرِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الأَوْسِ .

وَأَمّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، فَخَرَجَ حَتّى إذَا كَانُوا عَلَى الرّجِيعِ ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ ، عَلَى صُدُورِ الْهَدْأَةِ غَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَصْرَخُوا

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٦ – ٣٧٨ .

عَلَيْهِمْ هُذَيْلا ، فَلَمْ يَرُعْ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إلا الرِّجَالُ بِأَيْدِيهِمْ السُّيُوفُ قَدْ غَشُوهُمْ فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ إنَّا وَاَللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لا نَقْتُلَكُمْ .

فَأُمَّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالُوا : وَاَللَّهِ لا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلا عَقْدًا أَبَدًا ... وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُكَنَّى : أَبَا سُلَيْمَانَ . ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ .

فَلَمَّا قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هُذَيْلٌ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شُهَيْدٍ وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِين أَصَابَ ابْنَيْهَا يَوْمَ أُحُدٍ : لَئِنْ قَدَرَتْ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَن فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ فَمَنَعَتْهُ الدَّبْرُ فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ الدَّبْرُ قَالُوا : دَعُوهُ يُمْسِي فَتَذْهَبُ عَنْهُ فَنَأْخُذُهُ . فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَ فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا ، فَذَهَبَ بِهِ وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا أَنْ لا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا ، تَنَجّسًا ؛ فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ " (١) والحديث رواه الطبراني والحاكم ورجاله ثقات غير أنه حديث مرسل لأن عاصم بن عمر رواي الحديث من التابعين وليس من الصحابة وهو ثقة عالم بالمغازي، مات بعد العشرين ومائة .

أما رواية البخاري الموصولة وهي الأرجح كما يقول ابن حجر عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ

(١) سيرة بن هشام ج ٢ص ١٧٠ ، ١٧١ .

فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ وَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمً ... فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنْ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا " [البخاري]

فالقصة صحيحة ولكن ما لم يصح فيها آخر عبارة قالها الكاتب على لسان عاصم: " اللهم إني قد حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخر النهار " .

يقول الكاتب : " كان " لسياس " ملكًا لصفوان بن أمية ، وكان قد أنفذ في ذلك اليوم أمره في أسير من أسرى الأنصار يقال له زيد بن الدَّثِنَة، دفعه إليه صفوان وأمره أن يخرج به من الحرم، حتى إذا بلغ به التنعيم قتله . (١) .. ولقد سمعت أبا سفيان زعيم قريش يسأله : " أيحب أن يقوم محمد مقامه هذا وأن يكون هو آمنًا بين أهله ؟! فيجيبه: " والله ما أحب أن تصيب محمدًا شوكة تؤذيه وأنا آمن بين أهلي. " فيقول أبو سفيان لمن حضر من أشراف قريش : " ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كما يحب هؤلاء الناس صاحبهم " (٢)

وعبد صفوان بن أمية الذي قتل الصحابي زَيْدُ بْنُ الدّثِنَةِ اسمه " نِسْطَاسُ " وليس " لسياس " كما ذكر الكاتب وإليك قصة استشهاد هذا الصاحبي الجليل أحد غزوة الرجيع كما ذكرها ابن إسحاق قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : " وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنَةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٥ .
(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٨ .

نِسْطَاسُ إلَى التّنْعِيمِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ . وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ أَنْشُدُكَ اللّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك ؟ قَالَ وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي . قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا ؛ ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ يَرْحَمُهُ اللّهُ " والحديث مرسل كما سبق وبينا .

و" لسياس " هذا الذي ذكر على لسانه أحداث غزوة الرجيع واستشهاد من استشهد فيها من الصحابة لا ذكر له في كتب السيرة البتة ولا كتب الحديث ولا أدري من أين أتى به الكاتب لي لينسب إليه قتل زيد بن الدثنة ورواية قصة غزوة الرجيع ويعقد له فصلاً كاملاً بعنوان " طريد اليأس " بلغت عدد صفحاته سبع صفحات ؟!!

وذكر الكاتب قصة مقتل الصحابي خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ : " خرج به جمعهم إلى التنعيم، فلما أرادوا قتله أستأذنهم في أن يتقرب إلى ربه بالصلاة قبل أن يخطو آخر خطواته في الحياة؛ فأذنوا له، فصلى ركعتين ثم قال لهم : لولا أني أخاف أن تظنوا بي الجزع لزدت .ثم ينهض إليه أحدهم فيقلته ويعودون عنه وإنهم ليتحدثون عن أخلاقه وخصاله بما كان خليقًا أن يصرفهم عن قتله، لولا أن قلوبهم قست فهي كالحجارة أو أشد قسوة .لقد كانوا يقولون : إنهم جعلوا سجنه عند امرأة منهم، وإن هذه المرأة كانت تتحدث إليهم عن أمره بالأعاجيب.

كانت تراه مغلولًا يأكل من الفاكهة والثمر ما ليس لأهل مكة عهد به في مثل هذا الوقت ، لا تدري كيف سيق إليه؛ ولقد أنبأتهم أنه حين أظله اليوم الذي كان يراد قتله فيه طلب إليها موسى يتهيأ بها للموت، فأرسلتها إليه مع طفل صغير يدرج، ثم لم تلبث أن راعها ما فعلت وأن امتلأ قلبها رعبًا وأن قالت لنفسها :ما يمنع هذا الأسير أن يقتل هذا الصبي فيثأر لنفسه قبل أن يدركه الموت ! وأقبلت عليه مسرعة، فإذا هو قد أجلس الطفل على فخذه وهو يداعبه ويلاعبه، وأكبر الظن أنه كان يودع فيه طفلًا له بعيدًا .

فلما رأى المرأة مقبلةً وقد أخذها الروع ابتسم لها ابتسامة الحزن، ونظر إلى الطفل نظرة الحب، وقال للمرأة :أشفقت على هذا الصبي من الغدر؟ ليس الغدر من أخلاقنا"(١)

وقصة استشهاد خُبَيْب بْن عَدِيّ ذكرها ابن إسحاق مرسلة كما بينا .

قال ابن إسحاق : " وَأَمّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ ، فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، أَنّهُ حُدّثَ عَنْ مَاوِيّةَ مَوْلَاةِ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إهَابٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ قَالَتْ كَانَ خُبَيْبٌ عِنْدِي ، حُبِسَ فِي بَيْتِي ، فَلَقَدْ اطّلَعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَإِنّ فِي يَدِهِ لَقِطْفًا مِنْ عِنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ وَمَا أَعْلَمُ فِي أَرْضِ اللّهِ عِنَبًا يُؤْكَلُ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ جَمِيعًا أَنّهَا قَالَتْ قَالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ الْقَتْلُ ابْعَثِي إلَيّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ قَالَتْ فَأَعْطَيْتُ غُلَامًا مِنْ الْحَيّ الْمُوسَى ، فَقُلْت : أُدْخُلْ بِهَا عَلَى هَذَا الرّجُلِ الْبَيْتَ قَالَتْ فَوَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ وَلّى الْغُلَامُ بِهَا إلَيْهِ فَقُلْت : مَاذَا صَنَعْتُ أَصَابَ وَاَللّهِ الرّجُلُ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هَذَا الْغُلَامِ فَيَكُونُ رَجُلًا بِرَجُلِ فَلَمّا نَاوَلَهُ الْحَدِيدَةَ أَخَذَهَا مِنْ قَالَ لَعَمْرَك ، مَا خَافَتْ أُمّك غَدْرِي حِينَ بَعَثَتْك بِهَذِهِ الْحَدِيدَةِ إلَيّ ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ إنّ الْغُلَامَ ابْنُهَا . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : قَالَ عَاصِمٌ ثُمّ خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ حَتّى إذَا جَاءُوا بِهِ إلَى التّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ قَالَ لَهُمْ إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدَعُونِي حَتّى أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَافْعَلُوا ؛ قَالُوا : دُونَك فَارْكَعْ . فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أَتَمّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا ، ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ أَمَا وَاَللّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنّوا أَنّي إنّمَا طَوّلْت جَزَعًا مِنْ الْقَتْلِ لَاسْتَكْثَرْت مِنْ الصّلَاةِ قَالَ فَكَانَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ أَوّلَ مَنْ سَنّ هَاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . قَالَ ثُمّ رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلَمّا أَوْثَقُوهُ قَالَ اللّهُمّ إنّا قَدْ بَلّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِك ، فَبَلّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ؛ ثُمّ قَالَ اللّهُمّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . ثُمّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللّهُ " سبق تخريجه .

قصة وحشي قاتل حمزة

قال الكاتب عن وَحْشِيٌّ قاتل سيدنا حمزة : " ينظر النبي فيرى العبد فيعرفه .ولكن الله قد عصم دمه بالإسلام .وما قتل النبي قط رجلًا جاءه مسلمًا وإن كان قد قتل عمه

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

حمزة .فيأمر النبي ذلك العبد أن يجلس ويحدثه كيف قتل عمه .وهذا العبد قد جلس، وهو يعيد على النبي بلاءه المنكر، وحديثه يملأ قلب النبي حزنًا ولوعةً وأسى، والعبد بين يديه، لو أراد لأرضى حزنه ولوعته بمصرعه، ولكن أنى له ذلك وقد اعتصم العبد بالإسلام !

وقد آثر النبي أن يعفو، وآثر أن يصبر . أليس قد عفا عن هند وقد مثلت بعمه ولاكت كبده، وجدعت أنفه وأذنيه ! فما له لا يعفو عن عبد مأمور ! ولكنه قال للعبد: " غيب وجهك عني " فجعل العبد لا يرى رسول الله إلا تنكب طريقه واجتنب لقاءه ... وهذا العبد يهز حربته ذات يوم كما هزها يوم أحد، ويتهيأ لرميها كما تهيأ يوم أحد، ثم يطلقها كما أطلقها يوم أحد، وإذا هي تصيب رجلًا فتصرعه، وإذا الحربة التي قتلت حمزة قد شاركت في قتل مسيلمة، وإذا وحشيٌّ قد قتل خير الناس، وقتل شر الناس " (١)

وهذا الحديث صحيح رواه البخاري عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ قُلْتُ نَعَمْ وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ لَنَا هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيتٌ قَالَ فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي الْعِيصِ فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ قَالَ فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ قَالَ نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ قَالَ فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ قَالَ فَخَرَجَ

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٨٦ .

إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ قَالَ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ قَالَ وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ قَالَ فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلاَمُ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لا يَهِيجُ الرُّسُلَ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ آنْتَ وَحْشِيٌّ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ قُلْتُ قَدْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي قَالَ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ قَالَ فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ قَالَ وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الأَسْوَدُ"

يقول الكاتب عن وحشي بن حرب : " ولم يبلغ الإسلام من قلب هذا الرجل ما بلغ من قلوب كثير من الناس فيمحو من قلبه ما قدم في جاهليته.

وإذا هو يستعين على الندم بالخمر، وإذا هو يشرب ويسرف في الشرب، وإذا هو يضرب في الشراب فلا يمنعه الحد في معاودة الشراب .وإذا هو معروف في أهل حمص بما قدم من خير وشر .وإذا هو معروف في أهل حمص بسكره إذا سكر، وبصحوه إذا صحا. وإذا هو يسكر حتى يصبح مخوفًا على من يدنو منه، ويصحو حتى يصبح عاقلًا حلو الحديث .والندم يلح عليه حتى يبغضه إلى نفسه تبغيضًا، ويصرفه عن الصحو صرفًا.

وكلما مضت عليه الأيام ازداد إمعانًا في الشراب، والسن تتقدم به، وجسمه يضعف شيئًا فشيئًا، وعقله يذهب قليلًا قليلًا، والندم ماثل مع ذلك في نفسه، ملم بداره، يأخذه

من كل وجه، وهو لا يجد سبيلًا إلى الفرار منه إلا إلى الشراب . وهو يضرب في الشراب وقد ضعف وفنى فلا يحتمل الضرب فيموت . ونشهد جنازته اليوم. " (١)

أمر النبي ﷺ وحشي بن حرب أن يقاتل في سبيل الله فقال : " يا وحشى اخرج فقاتل فى سبيل الله كما قاتلت لتصد عن سبيل الله " [الطبرانى إسناده حسن]

وقاتل وحشي في سبيل الله وشهد مع المجاهدين وقائع كثيرة إلا أن كثير من أهل السير والمؤرخين يذكرون أنه داوم على شرب الخمر وأقيم عليه الحد أكثر من مرة بسبب ذلك .

قال ابن هشام : " فبلغني أن وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. " (٢)

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق " ثم إن وحشياً بعد ذلك خرج إلى الشام حين خرج المسلمون فلم يزل معهم في تلك المواضع والمشاهد حتى فتحت حمص فنزلها ووقع في الخمر يشربها ولبس المعصفر المصقول فكان أول من ضرب في الخمر بالشام وأول من لبس المعصفرات بالشام وليس بينهم في ذلك اختلاف " (٣)

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة : " وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: مات وحشي في الخمر أخرجه الثلاثة." (٤)

يقول الكاتب : على لسان زوجة مخيريق مخاطبة ابنه " وقد أنبئت يا بني أن نبي العرب كان يقول إذا تحدث عنه أو سمع الحديث عنه، مخيريق خير يهود . وقد صارت إليه يا بني أموال أبيك، فلم يأخذ لنفسه منها شيئًا، وإنما أجراها صدقة على الفقراء من أصحابه. " (٥)

---

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٨٦ ، ٣٨٧

(2) ابن هشام " السيرة النبوية " ج ٢ ص ٧٢

(3) ابن عساكر " تاريخ دمشق " ج ٦٢ ص ٤٠٢ .

(4) ابن الأثير " أسد الغابة في معرفة الصحابة " ج ٣ ص ١٠٤

(5) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٣٩٤ .

قصة الحبر اليهودي مخيريق

ذكر ابن هشام قصة مخيريق قال : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مُخَيْرِيقٍ، وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا ، وَكَانَ رَجُلا غَنِيّا كَثِيرَ الأَمْوَالِ مِنْ النّخْلِ وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ بِصِفَتِهِ وَمَا يَجِدُ فِي عِلْمِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ إلْفُ دِينِهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ، وَكَانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السّبْتِ ، قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاَللّهِ إنّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنّ نَصْرَ مُحَمّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقّ . قَالُوا : إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ قَالَ لا سَبْتَ لَكُمْ . ثُمّ أَخَذَ سِلاحَهُ فَخَرَجَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ بِأُحُدٍ وَعَهِدَ إلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَأَمْوَالِي لِمُحَمّدٍ ﷺ يَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَاهُ اللّهُ . فَلَمّا اقْتَتَلَ النّاسُ قَاتَلَ حَتّى قُتِلَ . فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ – فِيمَا بَلَغَنِي – يَقُولُ مُخَيْرِيقُ خَيْرُ الْيَهُودِ وَقَبَضَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَمْوَالَهُ فَعَامّةُ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ مِنْهَا . " (١)

وهذا الحديث ضعفه أهل الحديث قال ابن رجب " وروى ابن سعد ذلك بأسانيد متعددة ، وفيها ضعف " (٢)

صفوان بن أمية

يقول الكاتب على لسان رسول النبي ﷺ لصفوان بن أمية : " إن رسول الله ﷺ يستعد لحرب هوازن، وقد جمعت له جمعًا عظيمًا، وقد علم أن عندك سلاحًا ودروعًا وكثيرًا من أداة الحرب ؛ فهو يسألك أن تعينه بما عندك .

قال صفوان في لهجة لم تخل من سخرية : " فهو الغصب إذًا " قال الرسول في لهجة غلبت عليها الأناة والحلم : " كلا يا صفوان ! ليس الغصب من أخلاق رسول الله ، وهو لم يعلمنا غصبًا ولا غدرًا ولا تجبرًا، وإنك لتعلم قدرته عليك وعلى غيرك من الطلقاء، أفتراه قد مسكم بشر، أو نالكم بأذى ! إنه يستعير منك سلاحك ودروعك وما عندك من أداة الحرب، على أن يردها عليك موفورة بعد الظفر إن شاء .

---

(1) ابن هشام " السيرة النبوية " ج ١ ص ٥١٨ .

(2) ابن رجب " فتح الباري " ج ٢ ص ٤٨٥ .

قال صفوان : " فأبلغ محمدًا أن له عندنا ما يرضي، وأنا سنعينه بما نقدر عليه أداة للحرب .ومن يدري ! لعلنا نعينه بأنفسنا، فهو بعد ملك قريش . " قال الرسول : " بل قل نبي الله . " وأطرق صفوان ونهض الرسول فانصرف راضيًا . " (١)

ثم يقول الكاتب : " ويتيح الله لنبيه الظفر يوم حنين على جموع قيس بعد أن امتحن المسلمون في أنفسهم وقد أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم من الله شيئًا، وإذا رُسُل النبي تصل إلى صفوان في خيمته ومعه الحارث بن هشام قد أسلم وشهد الوقعة مسلمًا . فإذا دخل الرسل على صفوان قال قائلهم بعد أن حيا وتلطف في التحية : " إن رسول الله ﷺيرد عليك سلاحك ودروعك وأداتك موفورة، ثم هو يهدي إليك حظّاً من الغنيمة يمنحك مائة من الإبل، ولا يكره أن يزيدك إن استزدت . "

قال صفوان : " وصلته رحمٌ ! فما عرفته إلا رجل خير، وما أرى إلا أن الله قد منحه القدرة على تطهير القلوب من الحقد والبغض، ومن الضغينة والإثم .هلم سيروا معي إليه، فقد آن لغمرة الجهالة أن تنجلي، وآن لصفوان بن أمية أن يؤمن بمحمد وما أنزل عليه من الحق ." (٢)

حديث صفوان في مجملة صحيح فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ اِسْتَعَارَ مِنْهُ دُرُوعاً يَوْمَ حُنَيْنٍ. فَقَالَ: أَغَصْبٌ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ: بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ " [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ]

وفي رواية أحمد عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ خَيْبَرَ أَدْرَاعًا فَقَالَ أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ قَالَ فَضَاعَ بَعْضُهَا فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الإِسْلاَمِ أَرْغَبُ "

---

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .
(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

قال الكاتب : " ويمضي صفوان بن أمية إلى النبي فيسلم . ثم يعود فيخلو إلى نفسه ويفرغ لأمره، ولا يكاد يشارك الناس فيما يضطربون فيه من الأمر.

قال بعض أصحاب صفوان له ذات يوم : " أي أبا وهب ! إنك أسلمت، ولكن الإسلام لا يستقيم لك إلا أن تهاجر كما هاجر الناس . "

قال صفوان : " فلنهاجر كما هاجر الناس . " وخرج من مكة غير محب للخروج .

فلما بلغ المدينة لم يقم فيها إلا قليلا حتى قال له رسول الله ﷺ : " عزمت عليك يا أبا وهب لما رجعت إلى أباطح مكة . " فرجع إلى أباطح مكة أحب ما يكون في الرجوع إليها ، وأقام فيها ما شاء الله أن يقيم . وكان يتحدث إلى الناس فيقول : " لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إليَّ . "

قال قائل : " لقد أحببته إذاً لعطائه ! " قال صفوان : " ويحك ! لا و الله إن كنت لغنيّاً، وإنما أحببته لأن الله علمه كيف يداوي القلوب المرضى . "

والمعنى صحيح إلا قول النبي ﷺ لصفوان " عزمت عليك " فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " قِيلَ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ : إِنَّهُ لاَ دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ فَقَالَ : لاَ أَصِلُ إِلَى بَيْتِى حَتَّى أَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : " مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ؟ " . قَالَ قِيلَ : إِنَّهُ لاَ دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : " ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ فَقِرُّوا عَلَى سَكِنَتِكُمْ فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِنِ اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا " [رواه البيهقي وقال الألباني إسناده جيد]

قصة تبني النبي زيد بن حارثة

يقول الكاتب : " أقبل حارثة وأخوه كعب حاجين وزارا مكة، والتمسا الأمين فدلا عليه، فيقولان: " يا بن عبد لله ! يا بن عبد المطلب يا بن هاشم يا بن سيد قومه ! أنتم أهل الحرم وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء . " قال : ما هو ؟ قالوا :

زيد بن حارثة .فقال: " رسول الله ﷺ : فهل لغير ذلك؟ قالوا : ما هو؟ قال : ادعوه فخيروه، فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا . قالا : قد زدتنا على النصف وأحسنت . قال : فدعاه فقال :هل تعرف هؤلاء ؟ قال نعم . قال : من هما ؟ قال :هذا أبي وهذا عمي . قال : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما .فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني بمكان الأب والأم . فقالا : ويحك يا زيد ! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال : نعم ! إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا . فلما رأى رسول الله ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : " يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابني أرثه ويرثني . " فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، فدعي زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام " (١)

أما عن تبني النبي زيد بن حارثة فصحيح ثابت فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ { ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ } [متفق عليه]

أما قصة خطف زيد وبيعه عبداً في سوق عكاز وشراء النبي ﷺ له ، ورفض زيد صحبة أبيه وعمه عندما جاءا لفدائه وتمسكه بصحبة النبي ﷺ فقد روى القصة بطولها الحاكم في مستدركه بسند ضعيف وهذا نصها : " أنَّ حارثةَ تزوَّج إلى طيِّئٍ امرأةً من بني نبهانَ فأولدها جبلةَ وأسماءَ وزيدًا فتُوفِّيت أمُّهم وبقوا في حجرِ جدِّهم لأمِّهم فأراد حارثةُ حملَهم فأبى جدُّهم لأمِّهم وقال بل عندنا خيرٌ لهم فتراضوْا بأنْ حمل جبلةَ وأسماءَ وخلَّف زيدًا فجاءت خيلٌ من تِهامةَ وأغارت على طيِّئٍ فسبت زيدًا فصاروا به إلى سوقِ عكاظٍ فرآه النَّبيُّ ﷺ من قبلِ أن يُبعثَ فقال لخديجةَ يا خديجةُ رأيتُ في السُّوقِ غلامًا من صفتِه كيْت وكيْت يصِفُ عقلًا وأدبًا وجمالًا لو أنَّ لي مالًا لاشتريتُه فأمَرتْ ورقةَ بنَ نوفلٍ فاشتراه من مالِها فقال لها النَّبيُّ ﷺ يا خديجةُ هَبي لي

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

هذا الغلامَ بطيبةٍ من نفسِك قالت يا محمَّدُ إنِّي أرَى غلامًا وضِيًّا وأحبُّ أن أتبنَّاه وأخافُ أن تبيعَه أو تهبَه قال . ما أردتُ إلا لأتبنَّاه فقالت به فُديتَ يا محمَّدُ قال فربَّياه وتبنَّياه وكان يقالُ له زيدُ بنُ محمَّدٍ فجاء رجلٌ من الحيِّ فرأَى زيدًا فعرفه فقال ألستَ أنت زيدَ بنَ حارثةَ قال لا أنا زيدُ بنُ محمَّدٍ قال بل أنت زيدُ بنُ حارثةَ نسبةُ أباك وعمِّك وإخوتك كيْت وكيْت قد أتعبوا الأبدانَ وأنفقوا الأموالَ في سبيلِك فقال زيدٌ ألِكْني إلى قومي وإن كنتُ نائيًا فإنِّي قَطينُ البيتِ عند المشاعِرِ فكُفُّوا من الوَجدِ الَّذي قد شجاكمُ ولا تُعملِوا في الأرضِ نصَّ الأباعرِ فإنِّي بحمدِ اللهِ في خيرِ أُسرةٍ خيارِ معَدٍّ كابرًا بعد كابرِ قال فمضَى الرَّجلُ فأخبر حارثةَ ولحارثةَ في ذلك شعرٌ بكِيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعَلْ أحيٌّ فيُرجَى أم أتَى دونه الأجلْ فواللهِ ما أدري وإنِّي لسائلٌ أغالَك سهلُ الأرضِ أم غالَك الجبَلْ فيا ليتَ شعري هل لك الدَّهرَ رجعةٌ فحسبي من الدُّنيا رجوعُك لي بَجَلْ تُذكِّرنيه الشَّمسُ عند طلوعِها وتُعرضُ ذكراه إذا عسعس الطِّفِلْ وإن هبَّت الأرياحُ هيَّجنَ ذِكرَه فيا طولَ أحزاني عليه ويا وجَلْ سأعملُ نصَّ العيسِ في الأرضِ جاهدًا ولا أسأمُ التَّطوافَ أو تسأمُ الإبِلْ حياتي أو تأتي عليَّ منيَّتي وكلُّ امرئٍ فانٍ وإن غرَّه الأملْ ثمَّ إنَّ حارثةَ أقبل إلى مكَّةَ في إخوتِه وولدِه وبعضِ عشيرتِه فإذا النَّبيُّ ﷺ في فِناءِ الكعبةِ في نفرٍ من أصحابِه وزيدٌ فيهم فلمَّا نظروا إلى زيدٍ عرَفوه وعرفهم فقالوا يا زيدُ فلم يُجِبْهم انتظارًا منه لرأيِ رسولِ اللهِ ﷺ من هؤلاء يا زيدُ قال يا رسول اللهِ هذا أبي وهذان عمَّاي وهذا أخي وهؤلاء عشيرتي فقال لي قُمْ فسلِّمْ عليهم يا زيدُ فسلَّمتُ عليهم وسلَّموا عليَّ فقالوا امضِ معنا يا زيدُ فقلتُ ما أُريدُ برسولِ اللهِ ﷺ بدلًا ولن أُؤثرَ عليه واحدًا قالوا يا محمَّدُ إنَّا معطوك بهذا الغلامِ دِياتٍ فسَمِّ ما شئتَ فإنَّا حامِلوه إليك قال إن أُسلِّم أن تشهدوا أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي خاتمُ أنبيائِه ورسلِه فأبَوْا وتلكَّؤوا وتلجلجوا وقالوا أتقبَلُ ما عرضنا عليك يا محمَّدُ قال لهم ها هنا خَصلةٌ غيرُ هذه قد جعلتُ الأمرَ إليه إن شاء فليُقِمْ وإن شاء فلْيرحلْ قالوا يا محمَّدُ ما بقي شيءٌ قد قضَيْتَ فظنُّوا أنَّهم قد صاروا من زيدٍ إلى حاجتِهم قالوا يا زيدُ قد أذِن لك الآن محمَّدٌ فانطلِقْ معنا قال هيهاتَ هيهاتَ ما أُريدُ برسولِ اللهِ ﷺ بدلا ولا أُؤثرُ عليه

والدًا فأداروه وألاصوه واستعطفوه وذكَّروه وجْدَ من ورائِهم فأبَى وحلف أن لا يلحقَهم قال حارثةُ يا بُنيَّ أمَّا أنا فإنِّي مؤنِسُك بنفسي أنا أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه فآمن حارثةُ بنُ شُراحيلَ وأبَى الباقون ورجعوا إلى البريَّةِ ثمَّ إنَّ أخاه جبْلةَ رجع فآمن بالنَّبيِّ ﷺ " [رواه الحاكم في المستدرك وضعفه الذهبي]

قصة زواج النبي بزينب بنت جحش بين الحقيقة والافتراء

يقول الكاتب : " ولكن الله يريد أن يلغي نظام التبني هذا، وأن يرد الناس إلى أنسابهم وأن يدعوا الأبناء لآبائهم، وإذا هو يمتحن في ذلك نبيه، ويمتحن في ذلك زيدًا، ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعًا . يلقي في قلب النبي حب زينب زوج زيد، ويلقي في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها .

وهذه نفس محمد مضطربة أشد الاضطراب، ممتنعة أشد الامتناع، واجمة أشد الوجوم، ترفض هذا الحب رفضًا وتزور عنه ازورارًا، وإذا هي تنكره حتى على نفسها. ولكن الله يبدي ما تخفي، ويعرف الناس ما تنكره، وإذا زيدٌ يريد أن يطلق امرأته والنبي ينهاه ويزجره ويحذره .ولكن الله بالغ أمره وممض إرادته ومتم حكمته، وإذا زيد يطلق امرأته، وإذا النبي يتزوج زينب، ويقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض في ذلك ما يقولون . ولكن الحب الخالص بين زيد ومحمد يخرج من هذه المحنة العنيفة ظافرًا منتصرًا كأنقى وأصفى ما يكون، وإذا الله ينزل في هذه المحنة قرآنًا ويسمي فيه زيدًا فيقول :﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا ﴾ .ثم يقول :﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ . " (١)

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٠ .

ما ذكره الكاتب من حب النبي لزينب زوجة زيد ، واضطراب نفسه لذلك ، وإظهار الله تعالى ما يخفيه من هذا الحب ، معرفة الناس ما يحاول النبي إخفاءه من حب لزينب زوجة زيد فهذا كله لا يصح وما ورد فيه من آثار ذكرها بعض المفسرين فهي غير صحيحة وفي ذلك يقول د. محمد سيد طنطاوي رحمه الله " إن ما قاله بعض المفسرين ، من أن ما أخفاه فى نفسه ﷺ وأبداه الله تعالى ، وهو وقوع زينب فى قلبه ﷺ ومحبته لها ، وهى زوجة لزيد ، وأنها سمعته يقول عندما رآها : سبحان مقلب القلوب . . إلى آخر ما قالوا . . كله لا صحة له ..

وقال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم – وغيرهما – هاهنا آثارا عن بعض السلف ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا ، لعدم صحتها . فلا نوردها "(١)

ذكر الكاتب الآيات التي تتحدث عن قصة زواج النبي ﷺ من زينب ، ولكنه أعرض عن بيان معناها إلى ذكر ما لا يصح في حق النبي وفعله هذا يكشف ما يضمره الكاتب للإسلام ورسوله ، والقصة كما جاءت في القرآن الكريم وصحيح السنة أن النبي ﷺ هو الذي زوَّج زيداً من زينب على غير رغبة منها ، وعندما كان زيد يشتكي من سوء معاملة زوجته له ورغبته في طلاقها كان النبي ﷺ يأمره بعدم فعل ذلك ويقول له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ ويأمر الله تعالى نبيه أن يسمح لزيد بطلاق زينب بناء على رغبة الزوجين كليهما ، وفي هذا تشريع بوجوب الطلاق إذا استحالت العِشْرة بين زوجين وكان الطلاق هو الحل لمشاكلهما الزوجية ، ثم يأمر الله تعالى رسوله أن يتزوج بزينب زوجة متبنَّاه ؛ ليقرَّ تشريعاً آخر وهو إبطال عادةً التبني الجاهليةً، وقد دفع النبي ﷺ ثمن إبطال هذه العادة على غير رغبة منه فعادات الناس وتقاليدهم لا تُقِرُّ مثل هذا الزواج إذ كيف يتزوَّج الإنسان زوجة ابنه المتبنى؟ شيءٌ لا يحتمل في عرفهم ، وهذا معنى قول الله عز وجل : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ .

---

(١) د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٣٤٢٣ .

ثم يبين الله تعالى أن زواج رسول الله ﷺ بزينب مطلقة متبناه أمر إلهي وليس رغبة النبي ﷺ ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ ثم يبين الله تعالى لنبيه الحكمة من هذا الزواج ﴿ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا ﴾ هذه هي الحكمة من زواج رسول الله ﷺ من زينب كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وسنة رسول الله ، لا كما افتراها الكاتب .

غزوة مؤتة

يقول الكاتب : " ثم تقبل المحنة الأخيرة . فهذا النبي يجهز لغزوة مؤتة . فإذا أتم جهازه اختار الأمراء؛ فقدَّم زيدًا وقال : " فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة : " قال المُحدِّثون : فوثب جعفر بن أبي طالب فقال: " يا رسول الله ، ما كنت أرغب أن تستعمل عليَّ زيداً . " فقال رسول الله : " امضه فإنك لا تدري أي ذلك خير . " (١)

وما ذكره الكاتب عن غزوة مؤتة صحيح فقد روى أحمد بسند جيد عن أَبُي قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَأُمِّي مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا قَالَ امْضُوا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ .. " [حسنه الألباني]

قال الكتاب : " وقال النبي حين بلغه ذلك " إنه دخل الجنة يسعى " وصعد النبي المنبر فأنبأ المسلمين بمصرع الأمراء الثلاثة، وقال : " اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لجعفر ولعبد الله بن رواحة " يستغفر لزيد ثلاث مرات، ويجمع بين ابن عمه جعفر وعبد الله بن رواحة في استغفار واحد . " (٢)

---

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١١ .

وما ذكره لكاتب رواه ابن أبي شيبة عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو مَيْسَرَةَ : أَنَّهُ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَتْلُ زَيْدٍ وَجَعْفَرٍ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ذَكَرَ أَمْرَهُمْ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِزَيْدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِزَيْدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِزَيْدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِجَعْفَرٍ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ . " [مصنف ابن أبي شيبة ولم أقف على تخريجه]

قال الكاتب : " تحدث ابن سعد عن الواقدي في إسناده، قال : لما أصيب زيد بن حارثة، أتاهم النبي ﷺ قال فجهشت بنت زيد في وجه رسول الله ﷺ فبكى رسول اللهﷺ حتى انتحب . فقال له سعد بن عبادة : يا رسول الله ما هذا ؟ قال هذا شوق الحبيب إلى حبيبه " (١)

وما ذكره الكاتب عن بكاء النبي ﷺ وانتحابه على زيد لا يصح سنده فعَنْ خَالِدِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : " لَمَّا جَاءَ نَعْيُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلَ زَيْدٍ ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ ابْنَةٌ لِزَيْدٍ ، فَلَمَّا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَجْهَشَتْ فِي وَجْهِهِ ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى انْتَحَبَ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا شَوْقُ الْحَبِيبِ إِلَى حَبِيبِهِ" [مراسيل أبي داود بسند ضعيف]

القرآن الكريم معجزة أم كتاب هداية ؟

يقول الكاتب : " وما رأيت أعجب من أمر محمد ﷺ فيما رأيت وما علمت من أمور الأنبياء . رجلٌ كان يطالبه خصومه وأعداؤه بالمعجزات، فيبرأ منها ويعلن إليهم أنه بشر مثلهم، وأنه لم يرسل ليبهر العقول بالأحداث العظام، وإنما أرسل ليتلو على الناس قرآنًا يتحدث إلى عقولهم فيملؤها هدى، ويتحدث إلى قلوبهم فيشعرها رحمة وبرًّا، ثم لا يخلو أمره من هذه المعجزات التي تبهر العقول وتسحر الألباب، دون أن تُحدث في طبيعة الأشياء حدثًا أو تتجاوز بعادات الناس الجارية طريقها المألوف ! إنما هي معجزات ممتازات يراها الناس مألوفة يسيرة، ويراها المفكرون نادرة باهرة ومقنعة مفحمة

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١١ .

للمكابرين . لقد كان محمد رجلاً لا كالرجال . ولقد كان بشرًا، ولكنه امتاز بين الناس بخصال أحسها وأحققها في قلبي وفي عقلي، ولكني لا أجد إلى تصويرها سبيلا " (١)

تحدث الكاتب عن معجزات النبي ولم يذكر من بينها القرآن الكريم ؛ فالقرآن الكريم، عنده ، ما هو إلا كتاب هداية ورحمة وبر فقط وليس معجزة إلهية تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثلها .

والقرآن الكريم كتاب هداية ورحمة وبر نعم ولكنه في نفس الوقت هو معجزة الرسول الكبرى كما سنبين بعد قليل ، أما تعريف الكاتب لمعجزات النبي ، غير القرآن الكريم الذي لا يعتبره معجزة بقوله : " ثم لا يخلو أمره من هذه المعجزات التي تبهر العقول وتسحر الألباب، دون أن تُحدث في طبيعة الأشياء حدثًا أو تتجاوز بعادات الناس الجارية طريقها المألوف ! إنما هي معجزات ممتازات يراها الناس مألوفة يسيرة، ويراها المفكرون نادرة باهرة ومقنعة مفحمة للمكابرين." فمعجزات النبي في مفهوم الكاتب شيء مألوف بالناسبة للناس ، ولا تخرج عن طبيعة الأشياء ، أما المفكرون فيرون المعجزة شيء نادر ومبهر ومفحم !!

وكلام الكاتب هذا ينم عن جهل تام بمفهوم المعجزات الإلهية ويخلط بينها وبين الإبداعات البشرية والقدرات الإنسانية ، وفي ردنا عليه نبدأ أولاً بتعريف المعجزة ، ثم ذكر خصائصها ، ونختم بأشهر معجزات النبي .

المعجزة : هي أمرٌ خارقٌ للعادةِ ، مقرونٌ بالتحدِّي ، سالمٌ من المعارضة ، يُظهره الله على يد رسله .

فليست المعجزة إذن أمراً مألوفاً للناس كما زعم الكاتب ، وليست أمراً مبهراً للمفكرين فحسب إنما هو تحدٍ يعجز البشر أن يأتوا بمثله ، ولا يظهره الله تعالى إلا على يد رسله .

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٦ .

خصائص المعجزة :

ويشترط في المعجزة كما يقول العلماء :

١- أنْ تكون فعلاً من الأفعال المخالفة لما تعوَّد عليه الناس وألفوه .

٢- أنْ يظهره الله تعالى على يد رسله .

٣- أنْ يكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين، سواء صرَّح النبي صاحب المعجزة بالتحدي أو كان التحدي مفهوماً من قرائن الأحوال.

٤- أنْ تجيء المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى النبوة .

٥- ألا يُمكن معارضتها، فإذا عجز النوع البشري عن معارضتها، كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء، بخلاف ما كان موجوداً لغيرها، وكان ذلك دليل على صحة نبوة صاحب هذه المعجزة .

معجزات النبي ﷺ

القرآن الكريم هو أعظم معجزات رسول الله ﷺ بل هو أعظم معجزات الأنبياء جميعهم، لأنه معجزة خالدة باقية فقد تعهد الله عز وجل بحفظه ما دامت السموات والأرض ، على خلاف ما يفهم من كلام الكاتب إنه كتاب فقط كتاب هداية ورحمة وبر .

فالقرآن الكريم أعظمَ ما أوتي النبيُّ ﷺ دلالة على صحةِ رسالته، وهو نفسُ رسالتِه .

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١]

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في تعنُّتهم وطلبهم آيات – معجزات –ترشدهم إلى أن محمداً رسول الله كما جاء صالح بناقته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إنما أمر ذلك إلى الله .

وقوله: ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: إنما بعثت نذيرًا لكم بَيِّنَ النذارة فَعَلَيَّ أن أبلغكم رسالة الله ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم، وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم به وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه –فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أولم يكفهم آية أنَّا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي " (١)

فالقرآن الكريم إذن هو معجزة النبي الكبرى كما جاء في كثير من آيات الذكر الحكيم ، وكما جاء في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ مِنْ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [متفق عليه]

وليس معنى هذا أن النبي ﷺ لم يؤت إلا معجزة القرآن الكريم فقط إنما كانت هناك معجزات أخرى منها : انشقاق القمر ، وتسبيح الحصى، وتسبيح الطعام ، ونبع الماء ما بين أصابعه، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر وغير ذلك ، وكلها خرق لناموس الطبيعة وعلى غير ما ألف الناس ومتحدى أن يأتي المكذبين بها بمثلها لا كما أدَّعى الكاتب .

صبر النبي على وفاة ابنه

يقول الكاتب عن صبر النبي على وفاة ابنه : " كان منها امتحان الله له في أحب الأشياء إليه وآثر الناس عنده فما يبلغ ابنه ستة عشر أو ثمانية عشر شهرًا حتى تسعى

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ بتصرف .

إليه العلة . ويمضي النبي مع صفي من أصفيائه يقال له عبد الرحمن بن عوف ليعوده فيبلغه وهو يجود بنفسه، وينظر الأب إلى صبيه الوحيد الذي جاءه حين تولى عنه الشباب، وحين أقبلت عليه الشيخوخة، وحين استيأس من الولد، ينظر الأب إلى ابنه هذا أسفًا محزونًا، ولكنه ينظر إليه مع ذلك راضيًا مطمئنًّا مذعنًا لقضاء الله . وهذه عينه تدمع، وهذا صفيه ينكر منه ذلك ويقول له : " أتبكي وقد نهيت الناس عن البكاء؟ " فيجيبه : " إنما هذا رحمٌ، وإن من لا يرحم لا يرحم، إنما ننهي الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه ثم قال : " لولا أنه وعدٌ جامع، وسبيلٌ مئتاء، وأن آخرنا لاحق بأولنا ، لوجدنا عليه وجداً غير هذا ! وإنا عليه لمحزونون ! تدمع العين ويجزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وفضل رضاعه في الجنة " (١)

مجمل كلام صحيح فقد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حَتَّى أَتَى بِهِ النَّخْلَ ، فَإِذَا هُوَ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حِجْرِ أُمِّهِ ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ﷺ فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْكِي، أَلَمْ تَنْهَ عَنِ الْبُكَاءِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ نَعْمَةٍ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ، وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ ، وَشَقِّ جُيُوبٍ ، وَرَنَّةِ الشَّيْطَانِ ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَمَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلا أَنَّهُ قَوْلٌ حَقٌّ ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ ، وَسبِيلٌ مَأْتِيَّةٌ ، وَأَنَّ أَخِرَنَا يَلْحَقُ بِأَوَّلِنَا لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ ، تَبْكِي الْعَيْنُ ، وَيَوْجَلُ الْقَلْبُ ، وَلا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ" [رواه الترمذي ، والحاكم ، وحسنه الألباني وغيره]

ولكن المثير للتساؤل لماذا يصر الكاتب على ذكر أحاديث النبي بالمعنى ولا يذكرها بالنص ، لماذا يصر الكاتب على استبدال كلماته ببعض كلماتها ؟!! والعجيب أنه يضع الحديث بعدما تصرَّف في ألفاظه بين أقواس موهماً أن ذلك هو نص

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٧ .

الحديث وليس معناه ، وكان عليه إما أن يذكر نص الحديث أو يذكر معناه دون علامات تنصيص وينوه عن ذلك لكنه لم يفعل هذا ولا ذاك !

يقول الكاتب : " فهذا الأب يحمل ابنه إلى القبر ، ويجلس لينظر والناس يوارونه في التراب ، ويرى فُرْجة قد تركت في اللحد ، فيأخذ حجراً ويناوله من قام على تسوية القبر ويقول : " إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي " (١)

روى ابن سعد عن مكحول رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فُرْجَةً فِي اللَّبِنِ فَأَمَرَ بِهَا تُسَدُّ فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهَا لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ولَكِنَّهَا تُقِرُّ عَيْنَ الحَيِّ وَ إِنَّ العَبْدَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَحَبَّ اللهَ أَنْ يُتْقِنَهُ " [إسناده رجال موثقون غير محمد بن عمر وهو الواقدي فإنه ضعيف جدا]

يقول الكاتب : " عاد نبينا إلى بيته محزوناً وانكسفت الشمس في ذلك البوم فيتحدث الناس بالمعجزة ويقول بعضهم لبعض : " إنما انكسفت الشمس حزناً لموت إبراهيم ابن النبي . " وينتهي حديث الناس إلى نبينا ، فيخرج ساعياً حتى يأتي إلى المنبر ، فيرقاه ويحمد الله ويثني عليه فيقول : " أما بعد أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد "

ما ذكره الكاتب صحيح فعن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : " انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِي " [متفق عليه]

يقول الكاتب : " قال الأمير : " قد سمعت من كان يتحدث في الشام عن موت إبراهيم ابن رسول الله ويقول : إن النبي قال : " لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي " (١)

---

(١) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٨ .

وما ذكره الكاتب على لسان الأمير لا يصح سنداً ولا متناً فما رواه ابن سعد عن الزهري عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ قال " لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ لَوَضَعْتُ الْجِزْيَةَ عَنْ كُلِّ قِبْطِيَ " حديث مرسل لا يصح سنداً ، قال عنه الألباني إنه موضوع .

كما أنه لا يصح معناه فكما أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فكذلك شريعة الله لا تتغير بموت أحد ولا بحياته يقول تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٤ ، ١١٥]

فكل ما أمر الله تعالى به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مَفْسَدة، كما قال: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ أي: ليس أحد يُعقِّبُ حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة .(٢)

***

(1) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ص ٤١٩ .
(2) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٢ .